سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الرابعة | العدد (162) | 26 تشرين الأول 2014

# المناطق المحررة والحياة في زمن الحرب

## الحسكة تغرق في الظلام ومبادرات فردية لتنوير المدن

## عندما يتحول الإعلام إلى طرف وتصبح الحقيقة أول الضحايا قضية (قيس ـ قيصر)

## الشركس والحرب في سوريا ملح على الجرح

درعا البلد | عدسة شاب حوراني 2014

# مصابو الحرب في الغوطة الشرقية مأساة منسية والعمل الطبي إلى التلاشي

■ دمشق - أنليل فارس

لم تعد تخلو عائلة في الغوطة الشرقية بريف دمشق، من مأساة مصاب جراء الأعمال العسكرية التي تشهدها منذ نحو عامين، إما لعدم توفر العلاج المناسب أو الدواء اللازم، في حين يعلو صوت الحرب على أنين الجراح، ما جعل حلم المصابين أن ينكسر الحصار وتخمد الحرب لعل الحظ يسعفهم ويتمكنوا من إكمال حياتهم.

قال نزار، من الغوطة الشرقية لـ"سوريتنا"، "منذ نحو العام أصبت جراء سقوط صاروخ على الحي، فأصابتني عدة شظايا في ظهري ورجلي، فركب لي بعض الصفائح والأسياخ ولكني بحاجة إلى أكثر من عمل جراحي إضافة إلى العلاج الفيزيائي، علي أستطيع السير من جديد".

وأضاف "لقد حاول الأطباء مساعدتي هنا، لكن للأسف لا تتوفر الإمكانات اللازمة لعلاج حالتي"، لافتا إلى أنه حاول الخروج عدة مرات عبر المنظمات الإنسانية، لكن لم أحصل على موافقة النظام".

من جانبه، قال محمد، ناشط في الغوطة، "الوضع الصحي مأساوي جدا، واليوم الإصابة أصبحت مؤلمة أكثر من الشهادة، لما ينتظر ذلك المصاب من آلام انتظار العلاج في طوابير طويلة، ونقص الدواء وعدم وتوفر الاختصاصيين".

وأضاف أن "المأساة الكبرى تكمن في الأرق الكبير الذي يسببه المصاب لعائلته، العاجزة عن تقديم المساعدة، وهم الذي يعجزون في كثير من الأحيان عن تأمين ما يسد رمقهم"، وتابع أن "تأمين الدواء يعتبر أزمة بحد ذاته إذ أنه يكلف مبالغ مادية كبيرة، ما يجعل الكثيرين عاجزين عن الحصول عليه".

ولفت إلى أن "النقاط الطبية تعاني من ضغط كبير فآلاف المراجعين يوميا، إضافة إلى جرحى القصف اليومي وهم بالعشرات، في ظل نقص حاد في الكادر الطبي، ما يتسبب في كثير من الأحيان نخسر العديد من الجرحى، لعدم إسعافهم في الوقت المناسب".

من جانبه قال عضو المكتب الطبي الموحد في الغوطة الشرقية الدكتور أبو علي، لـ"سورينتا"، "يعمل في الغوطة نحو 400 شخص في القطاع الطبي، بينهم 55 طبيبا مختصا وبالتالي عليهم ضغط كبير، والباقي بين أطباء غير مختصين وممرضين ومسعفين وإداريين، يعملون ضمن 35 نقطة طبية ميدانية عدا نقاط الاستشفاء والعيادات الخاصة"، معتبرا أن "نقص المواد الطبية والكادر الطبي، الذي تستهدفه القوات النظامية، تسبب في فقدنا أربع أطباء وتسعة مسعفين وممرضين خلال الأشهر الثلاثة الماضية، في حين لا يمر شهر دون استهداف إحدى المشافي الميدانية".

وأضاف "في الغوطة يجرى وسطيا كل شهر 100 حالة بتر، وما يزيد عن ألف عمل جراحي، ونفقد جرحى كان بالإمكان إنقاذهم، ولو كان لدينا المزيد من المواد وفي أحيان أخرى المزيد من الكادر، وحتى على صعيد الصحة العامة نضطر في كثير من الأحيان إلى استخدام أدوية اقل فعالية أو تغيير خطة العلاج لنماشي الوضع".

ونبه أن "العمل الطبي في الغوطة الشرقية يكاد يتلاشى في ظل الحصار الخانق، ونقص الدواء والكادر الطبي، الذي لا يقدر بثمن، في حين يمنع النظام خروج الحالات الإنسانية، ويتعامل معها على أنها ورقة تفاوض مؤجلة، راميا جميع القيم الإنسانية خلف ظهره".

ولا تقتصر هذه الصورة المأساوية على الغوطة الشرقية، فهناك العديد من المناطق السورية قد تشبهها أو تزيد عليها، جراء اشتداد الأعمال العسكرية، وتحول المناطق السكنية إلى ساحات قتال، وأداة للضغط على الطرف المسيطر، دون أن يدخل الإنسان في أي حسابات إن كان على المستوى المناطقي أو الوطني أو الدولي، ليصبح من يفقد حياته هو المحظوظ، في حين يهمل الأثر النفسي والاجتماعي والاقتصادي على الأسرة، الخلية الأساسية في النسيج السوري ما يحمّل الشعب السوري في المستقبل تركة ثقيلة، وعبء إعالة إضافة إلى المشاكل الاجتماعية، التي ستحتاج إلى عقود من العمل من قبل اختصاصيين لإعادة دمجهم في المجتمع.

# عشرات حالات التسمم في مدينة حلب

وصلت مشفى البيان بحلب أكثر من 45 حالة تسمم غذائي، غالبية تلك الحالات من الأطفال وبعض عناصر الجيش الحر بينما توزعت بعض الحالات الأخرى من التسمم بين عيادات ميدانية ومشافي أخرى.

ويرجح مصدر طبي بالمشفى "أن جميع حالات التسمم تناولت من نفس الطعام".

ويوضح "أن التحاليل المخبرية تشير إلى أن غالبية حالات التسمم نتيجة تناول لحوم فاسدة".

إلى ذلك أفاد مراسل سوريتنا في حلب (عمر عرب): "أن عناصر من جبهة النصرة القت القبض على صاحب محل هامبرغر بدوار باب الحديد".

وأضاف المراسل: " أن عناصر الجبهة وجدت في المحل لحوم دجاج فاسدة".

وتكررت حالات التسمم الغذائي في مدينة حلب مع ضعف الرقابة الصحية على المطاعم ومحلات المواد الغذائية إضافة لانتشار لحوم وسلع مقدمة من منظمات إغاثية على شكل مساعدات، دون أن تخضع تلك المواد لأي رقابة صحية.

# الحسكة تغرق في الظلام ومبادرات فردية لتنوير المدن

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

انطلقت عدة مبادرات في محافظة الحسكة، تهدف إلى الحد والتقليل من حجم الأضرار الناجمة عن فقدان الكثير من الخدمات، في قطاعات خدمية شتى، سيما في ظل الفوضى التي اجتاحت البلاد منذ ما يزيد عن الثلاث سنوات.

لعل أبرز ما يمكن الحديث عنه هو قطاع الكهرباء، الذي يعاني منها الأهالي في مدينة الحسكة، حيث الانقطاع المستمر خلال السنوات الاخيرة، والتي انعكست على حياتهم وأعمالهم، وكان لها أثر سلبي في قطاعات عدة، سواء كانت حياتية، اقتصادية، زراعية أم خدمية.

مع اندلاع الأعمال العسكرية في المحافظة، شهدت الحسكة عملية تقنين في مجال الطاقة الكهربائية، فرضته شركة الكهرباء، وكانت البداية تبدو مقبولة عندما تم تحديد جدول التقنين بنحو 6 ساعات يوميا، إلا أن الأمور أخذت منحى آخر، إلى أن وصلت ساعات التقنين إلى أكثر من 20 ساعة في اليوم.

لجأ الكثير من أبناء المحافظة إلى البحث عن بدائل تقلل من أضرار الانقطاعات الحاصلة في هذا الميدان، فكانت فكرة المولدات العملاقة لتوليد الطاقة الكهربائية هي الأقرب، كما هي تتبع للقطاع الخاص، لتأمين الحد الأدنى من احتياجات المنازل من الكهرباء.

"عزيز" أحد مشتركي القطاع الخاص للكهرباء، يقول: " يعيش الأهالي معاناة تجلّت في الانقطاع شبه التام في مجال الكهرباء، الأمر الذي حوّل حياتنا جميعاً إلى أشبه بالجحيم، وخاصة عندما وصلت ساعات الانقطاع إلى أكثر من 22 ساعة خلال اليوم الواحد، كان لهذا الأمر أثر سلبي من حيث امكانية استثمار فترة وجود الكهرباء، أي الامور هي أهم، ونصبح في حيرة، هل نقرأ هذه الساعة؟ أم نشاهد التلفاز؟ أم نشحن أجهزة الهاتف والكومبيوتر ومتابعة الأخبار على مواقع التواصل الاجتماعي عبر الأنترنت؟".

وأشار "عزيز" إلى استمرار هذه المعاناة على مدار سنوات، إلى أن توصلوا إلى حل جزئي، من خلال الاشتراك مع مجموعة من أهالي الحي، في مشروع توليد الطاقة الخاص بالحي نتيجة "انسداد الأفق وعدم وجود أي أمل بانفراج للأزمة، قمنا بالاشتراك بهذا المشروع، على الرغم من كونه عبء مادي إضافي، وخاصة في ظل الظرف الراهن، الذي بات فيه كل شيء لا يمكن تحمله، إلا أنها الحل الضروري للتخلص من العتمة، وإمكانية البقاء على التواصل مع العالم الخارجي، وسدّ حاجة المنزل في هذا الجانب".

وأكد بأنه "يترتب علينا في نهاية كل شهر دفع مبلغ من المال، إلى جابي المشروع، يمثل قيمة استجرار كهرباء للمنزل، وتقدّر القيمة بحسب الأمبيرات المستجرة، حيث نقوم بدفع مبلغ 4000 آلاف ليرة سورية قيمة فاتورة الكهرباء، وهو مبلغ ليس بالهين إذا ما قسناه بما كنا ندفعه لشركة الكهرباء سابقا، وأحيانا كثيرة نقوم بالتحايل على الجباة، يقولها عزيز مازحا".

"محمد" مشرف على إحدى المولدات في المدينة، يتقاضى راتباً لقاء قيامه بأعمال إدارة المشروع، وتأمين مستلزمات المولدة، وتحصيل قيمة الاشتراكات الشهرية من المشتركين، يقول محمد" جاءت فكرة المشروع من الحاجة المستمرة إلى إيجاد بديل يخفّف من ضغوطات الانقطاع المستمر في الكهرباء، وهو بالتالي يمثل مشروع اقتصادي يهدف إلى تحقيق أرباح مالية بالنسبة لأصحاب هذه المشاريع التي باتت منتشر بكثرة في المحافظة.

وأوضح "محمد" أن قيمة الكهرباء التي يدفعها المشترك، لا تعد عالية بالنسبة لحجم النفقات التي تترتب على تشغيل هذه المولدة، نقوم باحتساب قيمة الأمبير الواحد من الكهرباء بمبلغ 750 ليرة، وهنا كمن يحسبه بـ 1000 ليرة، والحد الأدنى للاشتراك هو 3 أمبيرات، ويصل إلى 10 أمبيرات، تعود هذه المسالة إلى الإمكانات المادية للمشترك، ويصل عدد المستفيدين من هذا المشروع إلى 200 منزل بالنسبة لكل مولدة، حيث باتت تنتشر بشكل كبير في معظم أرجاء المدينة".

وأشار "يترتب على ذلك تأمين محروقات للمولدة، بالإضافة إلى الأعطال المستمرة التي تحتاج إلى مبالغ كبيرة، كما يتم دفع أجور شهرية للعاملين في هذا المشروع، عدا عن بعض المشتركين المعسرين الذين لا نتقاضى منهم أي أجور لقاء ذلك.

تجدر الإشارة إلى أن محافظة الحسكة، تعتمد على عدة مصادر لتوليد الطاقة الكهربائية، أهمها "معمل غاز السويدية في حقول رميلان النفطية، شمال شرق الحسكة، ومحطة مبروكة، وسد تشرين، والخط الرئيسي من ديرالزور"، توقف معظمها عن العمل بسبب المعارك التي تشهدها المنطقة، حيث لا تتجاوز الكمية الواصلة إلى المحافظة عن 180 ميغاواط، بينما حاجة المحافظة تفوق الـ 800 ميغاواط.

الحسكة - ساحة ختو | آذار 2014

# الحالة المعيشية على وشك الانهيار والغلاء يحول السوريين إلى فقراء

■ طلال سلطان

حلَّ الغلاء ضيفاً دائما على بيوت السوريين، وحجز له مطرحاً في غرفهم المُحزنة والكئيبة، مع اتخاذ حكومة النظام مطلع تشرين الأول من العام الجاري، قرار جديداً برفع أسعار الوقود.

## قرارات وفقراء

تستهدف حكومة النظام رفع أسعار المحروقات تباعاً، وقبيل عيد الأضحى بيومين، أي مطلع شهر تشرين الأول 2014 قررت الحكومة رفع أسعار ليتر المازوت من 60 إلى 80 ليرة، وليتر البنزين من 120 إلى 140 ليرة.

يقول الخبير الاقتصادي (محمد سلمان) «رفع أسعار المحروقات الذي قادته الحكومة، برغبة واصرار واضحين، ووفقاً لمخطط ممنهج ومعد مسبقاً، يقضي برفع الغطاء عن الدعم، وتقليص حجم ما تقدمه للمحروقات مما يسمى دعماً، وتخفيف العبء عن خزانتها التي تشكو من قلة الموارد، إذ بات من المتوقع أن تصفّر فيها الريح. مما يؤدي إلى أن المواطن سيخسر ربع دخله تقريباً».

أدى قرار حكومة النظام إلى موجة غلاء جديدة في ظل أوضاع معيشية غاية في الصعوبة، وتقديرات بأن ثلاثة أرباع السوريين أصبحوا فقراء وفقا للمركز السوري لبحوث السياسات، ونصف عدد السكان يعيشون في فقر مدقع، حسب المصدر ذاته في تقرير أصدره قبل فترة.

حيث التهم الغلاء دخول الناس، ولم يترك لهم فسحة أمل جديدة، للعيش بشكل لائق. إذ وصل الرقم القياسي لأسعار المستهلك الذي يصدره المكتب المركزي للإحصاء إلى 307. ٪99 في شهر أيار الماضي، وفي أحد أبرز المؤشرات الفرعية وهو الأغذية وصل الرقم المذكور إلى 368. 31 ٪، على حين كان السوريون ينفقون قبل الأزمة ٪45 من دخولهم على الغذاء، فيما وصل التضخم الشهري إلى 309. ٪73 في كانون الثاني الماضي. يعكس هذا حالة الجنون في الأسعار، والتخبط في السياسات الحكومية لجهة الفشل في ضبط ايقاع الأسواق، وتقديم مواداً وسلعاً بأسعار معقولة، لاسيما ما يتعلق بالسلة الاستهلاكية الأساسية أي الأغذية.

ويرى المواطن أبو ياسر، 45 عاماً « الذي يعيل أسرة مكونة من سبعة أفراد، اثنان منها طلبة في جامعة دمشق « أن ما تقوم به الحكومة جعلنا «فقراء ومعدومين» إذ لا يوجد عمل، ولا دخول وأجور تسد الاحتياجات.

## حالة معيشية مزرية

موجة الغلاء الجديدة التي بُرِّء منها التجار، أتت على ما تبقى لدى الناس من إمكانية لمواجهة شبح الأسعار المخيم على الأغلبية الساحقة من بيوت سورية وأسرها، لاسيما الفقراء والمعوزين والطبقات الهشة، وذوي الدخل المحدود والعاملين بأجر. هذه الموجة أنهكت كل الطبقات التي لم تسمح لنفسها بالشراكة بالفساد والسرقة والنهب، والذين لا موارد أخرى لديهم غير قوة عملهم. وظهرت علامات الاستياء العلنية في مناطق سيطرة النظام من هكذا وضع متأزم، وحالة معيشية على وشك الانهيار.

«وبعدين»؟ تتساءل أم عمر، ربة منزل، مختزلةً الحال الذي آل إليه وضع أسرتها المكونة من ستة أفراد بأنه « يدمي القلب».

## نفحة ليبرالية!

وثمة اعتراف حكومي بهذا الخصوص، لكنه إقرار بالمشكلة فقط، دون وضع ما يناسب من برامج وخطط، أو تقديم رؤية اقتصادية مُحكمة لتجاوز هذه العقبة الكأداء التي بات عمرها الزمني عقود. إذ خرج وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية همام الجزائري بمؤتمر صحفي يوم الأحد 19 تشرين الأول 2014، تحدث فيه لمدة تجاوزت الساعتين، دون أن تتضح الرسالة المطمئنة للناس، ودون أن يقدم جديداً يزرع الأمل بحياتهم، ويجدد التفاؤل بمستقبلهم، مكتفياً بترديد عبارات تصلح لكل زمان ومكان، والتفوه بجمل فيها نفحة ليبرالية واضحة، وهو ما يتعارض مع مبدأ الاقتصاد السوري. وليعيد إنتاج مقولات قديمة من قبيل «ليس المهم تسمية النهج الاقتصادي»، وهي حالة «دردرية» بامتياز، نسبة إلى النائب الاقتصادي الأسبق عبدالله الدردري. إلا أن الجزائري الذي تحدث بكل شيء عام في مؤتمره، وشرح تفاصيل كثيرة، اقترب من بعيد ولامس بلا إرادة ـ نتيجة إلحاح الصحفيين ـ القضية المعيشية، وأقر بأن «الأجور لن تبقى كما هي»، دون أن يوضح كيف ستتغير؟ وهل ستتحسن؟ وبأي آلية؟

## رُشا منظمة

استغنت الأسر السورية عن الكثير من عاداتها الاستهلاكية، وتخلت عن أكثر من 20 مادة من استهلاكها، وأعادت ربات البيوت النظر مرة جديدة في العادات الاستهلاكية، كما تشير زينة (35) عاماً، وهي موظفة، «لم يبق لدينا أمل بأن الحكومة ستقدم شيئاً على مستوى الحياة المعيشية، هي متهمة بأنها تزيد الأسعار، فلن تكون قادرة على عمل عكس ذلك، على حد تعبيرها».

قبيل موجة الغلاء الجديدة، ارتفعت أسعار عدد كبير من السلع بمعدل ٪50، والآن مع هذه الموجة الجديدة، تتجاوز نسبة الغلاء ٪75، إضافة إلى الفوضى المعهودة في الأسواق، المتروكة بلا رقيب أو حسيب. ويقتصر الأمر للجهات التابعة للنظام على جولات خجولة لدوريات حماية المستهلك، «الذين بدلاً من أن يضبطوا الأسعار، تم ضبط إحدى دورياتهم وهي ترتشي بأسواق دمشق، وصورت العملية كاملة، وقدمت لوزير التجارة الداخلية السابق الذي أصر على إنكار التهمة عن موظفيه، مطالباً الجهة التي قدمت هذه المعلومات (غرفة تجارة دمشق) بتقديم قرائن أخرى» بحسب ما يقول أحد تجار دمشق.

# مؤتمر دهوك: بداية إنهاء الصراع بين الأحزاب الكردية - السورية

■ القامشلي - دانا حسن

على خلفيّة الأوضاع والتوترات في كوباني، وبغية توحيد الصفّ الكردي للوقوف في وجه تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) والتي بدأت منذ شهرين تقريباً بتشديد ضرباتها للدخول إلى كوباني وبناءً على دعوة من رئيس إقليم كردستان العراق مسعود البارزاني بدأت يوم 14 تشرين الاول المباحثات بين كل من المجلس الوطني الكردي السوري ENKS وحركة المجتمع الديمقراطي TEV DEM - في مدينة (دهوك)، وانتهت هذه المباحثات المكثفة بين المجلسين في 22 من الشهر ذاته.

ولا يخفى أنه حصلت خلافات عدّة في الرأي بين ممثلي المجلسين، لكن تدهور الأوضاع في المناطق الكردية دعا الطرفين إلى تقديم التنازلات بغية الوصول إلى صيغةٍ معيّنة تجمع الأطراف الكردية للوقوف في وجه داعش.

في اليوم السادس من المباحثات تم منع ادخال المعدات الاعلامية إلى داخل قاعة الاجتماعات لتغطية هذا الحدث، وحول هذا الموضوع صرّح لسوريتنا (رودي ابراهيم) مراسل قناة أورينت نيوز قائلاً:

"حدثت مشكلة في قاعة الانتظار مما أدى إلى منع إدخال المعدات الإعلامية، وأظن أنه تم اتخاذ هذه الخطوة بسبب تصوير بعض المستندات والوثائق السرية الخاصة بالأطراف المتحاورة من قبل بعض الإعلاميين".

مباحثات دهوك اعتبرها الكثيرون طوق نجاة للشعب الكردي وخاصة في سوريا، ولا يخفى على كل متابع للأوضاع وجود خلافات بين المجلسين DEM - TEVو ENKS، وعدّه الكثيرون اتفاقاً تاريخياً من الممكن أن لا يتكرر مجدداً.

حول هذا الموضوع قال مراسل موقع (يكيتي ميديا) الإخباريّ (برزان شيخموس):

"على كل حال، الاتفاق جيد للغاية لكن يجب تطبيقه على الأرض، خاصةً فيما يتعلّق بتشكيل القوى العسكرية المشتركة، من جهة أخرى البيان لم يبيّن النقاط بشفافية، بل كان مختصراً جداً ومبهماً، ويحتمل الكثير من التأويل واللعب بالألفاظ والمفردات، خاصة عن تشكيل القوى العسكرية.

وفي ذات الموضوع أبدى الناشط الإعلامي (مسعود عكو) تأييده لهذه الخطوة والتي تجمع الشعب الكردي في صفٍّ واحد ضد الهجمات الراديكالية، وصرّح قائلاً:

"نحن ندعم أي توافق كردي - كردي من شأنه توحيد القوى الكُردية في حربها ضد الإرهاب وإسقاط النظام، لا نريد تكرار اتفاقيتي هوليرد1 وهوليرد2، والتي ظلت حبراً على ورق"، كما أردف "أعتقد وبعد بروز عوامل وتطورات هامة جداً في الحرب السورية، وتدخل التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على خط الصراع، وتوجيهه ضربات جوية ضد مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، ومن ثم إلقاء طائرات شحن حربية أمريكية أسلحة وعتاد وذخيرة مقدّمة من حكومة إقليم كُردستان للمقاتلين الكُرد في كوباني، كذلك موافقة تركيا على عبور البيشمركة للأراضي التركية لدعم ومساندة وحدات حماية الشعب التي تقاتل في كوباني، قد يدفع بالأطراف الكردية إلى التوافق والعمل سوية من أجل حماية المناطق الكردية من تهديدات التنظيم الإرهابي".

أمّا رأي الشارع، لم يكن على حد سواء، إذ اختلفت الآراء بين متفائل ومحكم بالفشل، وبين مؤيد للقرارات ومعارض لها، يرى المواطن (آرام أحمد): "إن الطرفان الحزبيان اللذان اتفقا على صيغة للحوار والتوافق وتقسيم الكعكة، من أعطاهم الشرعية ليمثّلا ويتحاورا باسم الشعب الكردي في سوريا؟".

يقول المواطن (أكرم حسين): "بحسب رأيي تمّ تقزيم القضية بسبب عدم حضور وكالات أنباء عالمية".

الكثير من التساؤلات تشغل بال الشارع ولكن هذا لم يمنع تواجد آراء إيجابيّة أو بالأحرى تفاؤلية.

وفي السياق ذاته صوّت برلمان إقليم كردستان العراق في 22 / 10 / 2014 على إرسال قوات البيشمركة إلى مدينة كوباني / عين العرب، لمساعدة وحدات حماية الشعب وفصائل الجيش الحرّ في محاربة (داعش).

الجدير بالذكر أنَّ المباحثات تمت بوجود شخصيات بارزة من المجلسين وممثل رئيس الإقليم حميد دربندي، واتفقوا على مجموعة نقاط تتلخص بتشكيل مرجعية كردية، والشراكة الفعلية في الإدارة الذاتية وتطويرها، وتشكيل قوات عسكرية مشتركة، وكان رئيس إقليم كردستان العراق مسعود البارزاني قد صرّح في ختام هذا الاجتماع: إن وحدة الكرد هي جواب لكل الذين يحاولون تفريق الكرد والقيام بالمؤامرات من اجل شق صفوف الكرد. "المرحلة الآن لا تتحمّل المزيد من النزاعات، الاختلاف طبيعي ولكن يجب فض الخلافات.

# إضراب عن الطعام في معتقلات الـPYD في عفرين
# المعتقلون يهددون بحرق أنفسهم

أفادت تنسيقية أزادي عفرين بأن المعتقلين السياسيين في سجون حزب الاتحاد الديمقراطي قاموا بالإضراب عن الطعام بشكل كامل وأنهم سيحرقون أنفسهم أن لم يتم الأفراج عنهم بعد اتفاقية دهوك بين المجلسين والتي لم تشمل اطلاق سراح معتقلي الرأي .

وقالت التنسيقية على صفحتها على فيس بوك رغم اتفاق المجلسان الكرديين في لقاءات دهوك الأخيرة على إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين الموجودين في سجون الـ (PYD)، الا أن الأسايش لم تفرج عن جميع المعتقلين في عفرين.

ويؤكد عضو تنسيقية أزادي عفرين، "بأن ستة من المعتقلين من حزب آزادي الكوردي، وأربعة من كوادر الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا (البارتي) و عدد من المواطنين المدنيين، وعدد آخر من عناصر الجيش السوري الحر.

فيما قال أحد أقرباء المعتقلين الذين تم الإفراج عنهم (جيكر حمو) بأن "المعتقلين تعرضوا للتعذيب بشكل وحشي في السجن من قبل عناصر الأسايش خاصة في بداية فترة الأعتقال، وأن 7 أو 8 من عناصر الأسايش كانوا يقومون يوميا بالضرب وتعذيب السجناء حتى يتم الاعتراف بتهم لم يرتكبوها..

وتابع "بأن المعتقلين الذين أفرج عنهم الأحد، كانوا قد اعتقلوا في أيلول 2013 بتهمة المشاركة في التفجيرات التي وقعت في مدينة عفرين بمبنى (المجتمع المدني والأمن السياسي) و(الامن العسكري) سابقاً". وأضاف "بأن الأسايش قامت باعتقالهم بتهمة جنائية، ولكن الحقيقة هي أنهم اعتقلوا على خلفية سياسية".

وكانت القوات التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، قد اعتقلت في شهر أيلول من عام 2013 مجموعة من أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا (البارتي) وحزب آزادي الكوردي، بتهمة تفجير المقر السابق للأمن السياسي، والأمن العسكري في مدينة عفرين.

# لماذا اغتيل عالم الذرة السوري أوس خليل؟

■ مها الخضور

في نهاية أيلول 2011 اغتيل عالم الذرة السوري أوس عبد الكريم خليل في حي عكرمة الحمصي أثناء خروجه مع عروسه التي لم يمض على زواجه بها أكثر من شهرين.

أوس عبد الكريم خليل - 33 عام من مواليد بلدة المخرم الفوقاني التابعة لمحافظة حمص، وهو مهندس مختص في البحوث الذرية وعمل معيداً في جامعة دمشق كما اوكلت إليه مهمة القائم بالأعمال في جامعة البعث رغم حداثة سنه.

والشهيد " أوس" هو ابن طبيب العيون عبد الكريم خليل - رئيس قسم العيون في المشفى العسكري في حمص، كما أن جده لوالدته - أحمد الخضور كان من أهم الضباط والقادة العسكريين المناهضين للأسد الأب وقد تحمل تبعات موقفه حتى آخر يوم في حياته التي قضاها في المنفى منذ تسلم الأسد الأب للسلطة حتى وفاته.

قتل أوس خليل بثلاث رصاصات، اثنتان منهما استقرتا في الرأس، أثناء صعوده إلى سيارته وقد كان ينوي إيصال زوجته إلى عملها في كلية العلوم بالقرب من جسر باب عمرو.

يصف المحامي "إياد الخضور" خال الشهيد أوس جريمة الاغتيال قائلا: "قتل ابن أختي في وضح النهار ومن قتله لم يخف من محاسبة أحد له، وقد ارتكبت الجريمة في حي عكرمة الجديدة الذي يعتبر من الأحياء العلوية في حمص حيث ينتشر عناصر الأمن في كل شبر منه فلم لم يتقدم أحد منه لإسعافه بل إنه ترك في مكانه لأكثر من نصف ساعة حتى نزف آخر نقطة دم دون أن يتجرأ الجيران من الاقتراب منه أو إسعافه بسبب إطلاق النار العشوائي الذي بدأه رجال الأمن في الحي".

يومها كان ملفتاً جداً أن قناة المنار التابعة لحزب الله هي أول قناة تلفزيونية تنعي الشهيد، لكن القناة غيرت مكان الجريمة ليصبح جسر باب عمرو بدلاً من حي عكرمة الجديدة حيث قتل الشهيد في سيارته وأمام بيته.

بعدها بساعات أعلن التلفزيون الرسمي السوري خبر اغتياله وأكد رواية قناتي المنار والعالم اللتان أصرتا على التحدث عن الشهيد بصفته عالماً نووياً للإيحاء بأن القوى الظلامية التكفيرية تقتل العقول والكفاءات في البلد.

ولم يتوقف الكثيرون عند حادثة تغيير مكان الجريمة على اعتبار أنها ليست سوى مثالاً على كذب النظام وحلفائه وقدرتهم على استحضار التهم لأعدائهم.

لم تكن حادثة اغتيال "أوس" الوحيدة، بل تبعتها حوادث مشابهة كمقتل الطبيب حسن عيد رئيس قسم جراحة الصدر في المشفى الوطني واغتيال العميد الدكتور نائل دخيل مدير كلية الهندسة الكيميائية في حمص والمهندس محمد عقيل الأستاذ في كلية الهندسة المعمارية في حمص والقاضي جورج شقرة وغيرهم آخرون.

شكلت عمليات اغتيال هؤلاء الشهداء بداية الفتنة التي أرادها النظام لتفتيت المجتمع السوري والزج بأبناء الأقليات في مخططه والتركيز على إخافة أبناء الطائفة العلوية من الخطر السني القادم.

فجميع هؤلاء الشهداء هم من أبناء الريف الحمصي ومن أبناء الأقليات الذين حاولوا أن يحافظوا على النسيج الاجتماعي لريف حمص والذي يتندر الحمصيون بوصفه أنه "كحبات مسبحة كل واحدة لون" تعبيراً عن التنوع الطائفي والديني في المنطقة وتعاهدوا على المحافظة على العيش المشترك لهم جميعا دون الأخذ بالاعتبار بقاء النظام أو زواله وكان لبلدة المخرم الفوقاني شرف الدعوة لتلك اللقاءات واستضافة القادمين من القرى المجاورة في أيار وحزيران 2011

منذ اليوم الأول، وبحسب معرفة النظام بتركيبة محافظة حمص وأهميتها الجغرافية فقد ركز عملياته واغتيالاته فيها أكثر من باقي المحافظات السورية الأخرى. ففي حمص بدأت أولى جرائم التمثيل بالجثث بعد القتل وكانت ضحيته الأولى زينب الحصني، وفيها أيضا بدأت حوادث الاغتصاب والاغتيالات وغيرها.

وبالرغم من تنبه العديد من المعارضين لهذه المسألة إلا أنهم فشلوا في مواجهة رواية النظام ودرء الفتنة التي وصل إليها السوريين هذه الأيام، وفي 18 أيلول أصدر تحالف "غد" لناشطين ميدانيين في حمص بيانا اتهم فيه النظام وحمله المسؤولية الكاملة عن عمليات قتل الخبرات والكفاءات العلمية من أبناء الأقليات لإخافتهم وجذبهم إلى جانبه.

وفي يوم جنازة "أوس" اجتمع الآلاف من المشيعين من قريته ومن القرى المجاورة فبدأ التشييع وكأنه عرس حقيقي غنى فيه المشيعون للشهيد العريس واختلطت أهازيجهم بالدموع، ولكن وصول مجموعة من عناصر الأمن برفقة تلفزيون الدنيا وإذاعة شام FM وقيامهم بتوزيع صور بشار الأسد على المشيعين ليرفعوها، هذا الأمر حول الجنازة العرس إلى مظاهرة حقيقية طالبت بإسقاط النظام.

بدأ خال الشهيد وخالاته بتمزيق الصور وتبعهم بقية المشيعين وهتف المحامي إياد الخضور خال الشهيد ضد النظام الذي يقتل أبناء بلده في سبيل الحفاظ على السلطة وردد المشيعون الهتافات.

أحرج الموقف رجال الأمن ومراسلي التلفزيون الذين لم يستطيعوا الحصول على صورة واحدة للجنازة وإنما بثت قناة الدنيا يومها صورة لمقبرة القرية وهي خالية تماما من المشيعين أي أنهم التقطوا الصورة بعد انتهاء الجنازة أو ربما قبلها.

تقول خالة الشهيد: "إن أوس خسارة لنا كعائلة وللبلد لكنه الشهيد رقم ألف في سوريا (حتى لحظة استشهاده)، أي أن هناك ألف خسارة فجعت بها بلدنا بأبنائها من أجل بقاء بشار في الحكم ولا أشك بأن اختياره كضحية لهم كان مدروسا بدقة".

لم يتخذ أوس موقفا حادا من النظام ولكنه لم يخف موقفه ضد القتل فتحدث بذلك إلى الأصدقاء والزملاء، كما أنه عبر عن أحلامه بسوريا جديدة تنعم بالديموقراطية.

# عندما يتحول الإعلام إلى طرف وتصبح الحقيقة أول الضحايا
# قضية (قيس - قيصر)

■ درعا - سارة الحوراني

تتسارع الخطوات لإنهاء حالة التوتر السائدة في حوران، والعمل على عودة كافة الأطراف المعنية إلى الاحتكام للقضاء الشرعي في قضية مقتل النقيب قيس القطاعنة على يد الناشط محمود الحشيش المعروف بـ "قيصر حبيب"، والذي قتل أيضا على يد عناصر من ألوية العمري التابعة لجبهة ثوار سوريا يوم الأحد الماضي.

أصدرت ألوية العمري بياناً حول العملية جاء فيه: "إلى من يهمه الأمر، بعد التواطؤ والتراخي المقصود من محكمة "غرز" وتأخرهم الداعي للفتنة في المنطقة لمحاكمة المجرم قيصر حبيب، قمنا نحن ألوية العمري بوضع النقاط على الحروف والقصاص من المجرم المذكور آنفاً، ووأد الفتنة التي إن اشتعلت ستحرق كل ماحولها".

قتل الناشط حبيب في 19 من الشهر الجاري داخل دار الاستشفاء التابعة لمشفى الدكتور عيسى عجاج بحي طريق السد في مدينة درعا، وأصدرت إدارة المشفى بدورها أيضا بيانا، أوضحت فيه ملابسات ما جرى وجاء في البيان المذكور: " بعد أن وصل الإعلامي قيصر حبيب إلى المشفى حوالي الساعة الواحدة ليلة الأحد محضراً من سجن "غرز" بحراسة حركة المثنى الإسلامية بالإضافة إلى عناصر المحكمة، وهو بحالة صحية سيئة ويشكو من حصر بول منذ ثلاث أيام، مع عدم قدرة على المشي، تم استدعاء طبيب الجراحة البولية والجراحة العظمية وأجري له "مستوفيكس" (قثطرة بولية)، وطلب له صورة حوض مع تحاليل عامة، وقُبل في قسم الاستشفاء لمتابعة التحاليل والعلاج انطلاقاً من عملنا الإنساني في معالجة الجرحى".

وأضاف بيان المشفى:" أثناء وجود المصاب بدار الاستشفاء وفي حوالي الساعة الثانية عشر ظهر يوم الأحد حضر إلى دار الاستشفاء عناصر من محكمة " غرز" يرافقهم أخ الشهيد "قيس قطاعنة" بالإضافة إلى أبو شريف محاميد وأخ الشهيد "ياسر العبود" وأطلعوا على صحة الجريح "قيصر حبيب" وذهبوا، بعد ذلك بساعة قامت قوة عسكرية بمحاصرة قسم الاستشفاء بمضادات الطيران والرشاشات الخفيفة والثقيلة، وتبيّن فيما بعد أنهم من عناصر ألوية العمري، حيث قاموا باقتحام قسم الاستشفاء بإطلاق نيران كثيفة أتى بعضها على باب قسم الاستشفاء الحديدي واخترقه، مما اضطر عناصر حرس الجريح "قيصر" إلى إلقاء أسلحتهم، وبعد ذلك قام العناصر بالدخول إلى غرفة الجريح وضربه، ومن ثم الإجهاز عليه وقتله بما يتجاوز الثلاثين طلقة".

إثر ذلك شهدت منطقة زيزون مسقط رأس "قيصر حبيب" في ريف درعا الغربي توتراً شديداً، ونصب ذوي القتيل الحواجز في المنطقة، واستولوا على عدد من منازل بعض العناصر التابعين للواء العمري بعد طردهم والاحتفاظ بأسلحتهم.

تعود بدايات الحادثة المؤلمة إلى نهاية شهر آب / أغسطس الماضي وتحديداً في 28 منه، عندما قام الناشط قيصر حبيب بإطلاق ثلاث رصاصات على النقيب قيس القطاعنة، قائد ألوية العمري وجبهة ثوار سوريا -القطاع الجنوبي في بلدة "جلين" بريف درعا الغربي، وذلك إثر مُشادة كلامية بينهما على خلفية توتر سابق من تغطية "قيصر" الإعلامية، نُقل على إثرها القطاعنة إلى الأردن إلا إنه فارق الحياة في إحدى المشافي ودفن هناك، فيما أصيب حبيب برصاص المرافقة الشخصية للقطاعنة، ونقل إلى مشفى بلدة "الشجرة "بريف درعا لتلقي العلاج.

تباينت الروايات حول الحادثة حيث ظهر قيصر حبيب في شريط مصور بعد تلقيه العلاج بثها المرصد السوري لحقوق الإنسان قال فيه: "إنه كان متوجهاً إلى الريف الغربي في 28 من شهر أغسطس الماضي، وأثناء توقفي في بلدة جلين، مر النقيب قيس القطاعنة بسيارة وتوقف عندنا وتحدث معي حول " انتقادات" وجهتها له ولفشل إحدى العمليات العسكرية في ريف درعا، تطور الحديث بيننا إلى مشادة كلامية، فأمر النقيب عناصره وضعي في صندوق السيارة، وأثناء محاولتهم تنفيذ أمر، قمت بإطلاق النار على القطاعنة ومرافقه دفاعا عن النفس، أصبت برصاص مرافقه وتم نقلي إلى مشفى الشجرة ".

بينما أوضحت الصفحة الرسمية لألوية العمري الحادثة على الشكل التالي:" أثناء مرور القطاعنة مع مرافقيه في قرية جلين، شاهد الناشط قيصر حبيب فتوقف بقربه وتحدث معه معاتباً أمام العامة، وطلب منه توضيحا لما يقوم به من تشهير وطعن بالثوار عامة وبألوية العمري خاصة، وأخبره بضرورة زيارته في مقرات اللواء والسؤال قبل التشهير بهم، ليحتد الحوار بينهم ويتحول إلى مشادة كلامية انتهت بإطلاق قيصر النار على النقيب القطاعنة ".

طالبت الفصائل العسكرية بضرورة تسليم قيصر حبيب إلى القضاء بأسرع وقت ممكن، لتجنب التصعيد والتوتر وإراقة الدماء، وإجراء محاكمة تضمن العدالة لكلا الطرفين، حيث تم الاتفاق بين ألوية العمري من جهة، وكل من الهيئة القضائية الموحدة في حوران / القطاع الأوسط، ولواء المعتز بالله وجبهة النصرة وحركة المثنى وبعض الوجهاء، على تحكيم شرع الله في قضية مقتل النقيب قيس القطاعنة، ورفع القضية إلى محكمة "غرز" والقبول بحكمها من كلا الطرفين.

يذكر بأن قيس القطاعنة من أبناء منطقة اللجاة في ريف درعا، ومن أوائل الضباط المنشقين عن جيش النظام في10 / 7 / 2011، انضم إلى لواء الأحرار وشكل فيما بعد لواء العمري بتاريخ 24 / 10 / 2012، شارك في معظم المعارك ضد جيش الأسد في حوران والقنيطرة.

# المناطق المحررة والحياة في زمن الحرب

■ ريف حلب الشرقي - ناصر المحمود

الحرب التي تدور رحاها في سوريا منذ أكثر من ثلاث سنوات، فرضت على السوريين أنماطاً جديدة من العيش والعادات. فمعظم السوريين الذين يعيشون في المناطق المحررة حياتهم أقرب للبداوة رغم أنهم يعيشون في المدن والأرياف.

رياض رب لعائلة اضطرت لمغادرة حلب إلى ريفها الشرقي منذ اندلاع الاشتباكات بين الجيش الحر وقوات النظام في حلب، يقول رياض: «لم نعد نفكر إلا بالسلامة لنا ولأولادنا، وقد أصبحت حياتي مثل البدو الرحل، لكن دون غنم أو إبل، فمنذ بدء الثورة السورية نزحت سبع مرات، ست منها بسبب قصف النظام، ومرة بسبب الاشتباكات بين الثوار وتنظيم الدولة الإسلامية».

وعمل السوريون على التأقلم مع هذه الحياة الصعبة بكل تفاصيلها، فبعد أن أصبحت الكهرباء شيئاً نادراً، والغاز سلعة باهظة الثمن عاد السوريون للحطب ولا سيما في الأرياف، فخبزوا على التنور والصاج، تقول أم محمد: «عدنا إلى زمن الحطب وخبز التنور، فصعوبة المواصلات والظروف الأمنية لا يسمحان بوصول الخبز إلينا، مما أجبرنا على الخبز بالبيت من خلال التنور».

وتتابع «أم محمد» الحديث عن تعقيدات الحياة: «أصبحنا نطحن ونمون الطحين في البيت كما يفعل الأجداد، والحطب نجمعه من تقليم الأشجار وروث الحيوانات».

وتضيف: «حتى الصبايا الصغيرات أصبحن يُجدن الخبز على التنور، وهن أكثر نشاطاً منا، وتأقلمن على هكذا عمل».

ولم يقتصر استخدام الحطب على خبز التنور أو الصاج، فقد أصبح بديلاً عن الغاز في المطبخ الريفي تقول الستينية أم عمر: «لا نستخدم الغاز إلا نادراً من أجل الشاي أو القهوة، أما الطبخ اليومي فإننا نستخدم الحطب، فأكثر من عائلة تعيش في مطبخ واحد، فالطبخات كبيرة تستهلك كمية من الغاز لا نستطيع تأمينها».

منظر الخيام، المنشرة في مناطق كثيرة من سوريا خاصة في ريفي إدلب وحلب أصبح أمر معتاداً، يحدثنا «أبو أسامة» عن الخيام المنصوبة أمام بيته في ريف حلب الشرقي: «هذه الخيام لأولادي وأحفادي الذين نزحوا من المدينة بعد أن اشتدت وطأة القصف عليهم، وكما ترى البيت صغير لا يتسع لكل هذه العائلات، فنصبت لكل ولد خيمة».

يقول «فضل» أحد أولاد «أبو أسامة»: «العيش في خيمة أمام بيت الوالد وبين الأهل أفضل من العيش في مخيمات اللجوء التي تذل الناس، فالخيمة للنوم، وبقية الأمور (حمام، طبخ) مشتركة بيننا فلا غريب بيننا».

وأهم ما يميز حياة السوريين في يوميات الحرب التي يعيشونها هو حسن إدارة الاقتصاد المتمثلة بتحقيق الاكتفاء الذاتي، والاعتماد على المنتج المحلي (المنزلي)، فالسوريون سواء في المدن أو الأرياف باتوا يلجؤون إلى حفظ الأطعمة في زمن الرخص لتستخدم زمن الغلاء مستخدمين الطرق القديمة بالتجفيف أو التمليح حتى لا تفسد.

تخبرنا أم عدنان عن الأسباب التي دفعتها لاستخدام التجفيف والتمليح: «في الريف لم تعد تصلنا الكهرباء فما عاد بالإمكان استخدام الثلاجات لحفظ الأطعمة، إضافة لانعدام معظم الخضار شتاء، فعدنا لأسلوب الأجداد».

«نجفف كل الخضار والأطعمة مثل دبس البندورة والفليفلة والباذنجان والكوسا والملوخية والبرغل والتين والزبيب والمربيات حتى العصائر مثل عصير الحصرم» بحسب أم عدنان.

وعن إيجابيات هذه الطريقة بالحفظ (التجفيف والتمليح) توضح «أم عدنان»: «الخضار أثناء موسمها تكون رخيصة الثمن عكس الشتاء حيث تكون الأسعار باهظة، وقسم منها تنتجه أرضنا، كما أن الأطعمة تحافظ على قيمتها الغذائية، صحيح أن نكهة المحفوظ بالثلاجة أطيب، ولكن شيء أفضل من لا شيء».

ولعل أبرز ما يميز حياة السوريين في الحرب ولا سيما في الريف عودة الطقوس القديمة في السهرات، فانقطاع الكهرباء وعدم وجود بدائل حديثة ولا سيما في الأرياف الصغيرة جعل الأهالي يستخدمون لمبة الكاز، فيجتمع الأخوة والأعمام وغيرهم من الجيران والأخوال في بيت أحدهم يتناقشون أحوال البلد في ظل الحرب المستمرة.

يقول أبو أسامة: «لم أكن أرى أولادي إلا في الإجازات والأعياد بسبب انشغالهم، ومع توقف عجلة العمل واضطرارهم النزوح للريف بت أراهم يومياً، ونسهر كل يوم».

وعن أهم ما يميز السهرات يقول «أبو أسامة»: «البساطة والبعد عن التكلف فالسهرة تقتصر على الشاي والقهوة العربية، والأحاديث تتمحور في معظمها عن الحرب الدائرة في سورية. «

ولم يقتصر تغير سير الحياة على الكبار إنما شمل الصغار، فقد أصبحت ألعاب الأطفال مختلفة، وتعبر عن الواقع الذي يعيشه الطفل، تقول أم مدين: «ألعاب الأطفال تتمحور على السلاح أو الثورة، فالأولاد يصنعون رشاشات وسكاكين من الخشب، ويطاردون بعضهم، ناهيك عن دور الثائر والشبيح والمظاهرات».

حياة الحرب في سورية صفحات من التأقلم والمعاناة والآلام تشتمل على نقاط بسيطة تبعث الأمل في نفوس السوريين، يقول الطبيب عثمان: «رغم كل ما يعانيه السوريون ولا سيما من بقي تحت النار فإن الأمل بمستقبل أفضل هو من ينمي أملهم ويبعث فيهم الحياة».

# بـ 300 دولار أصبحوا أطباء ومهندسين في الخليج
# مجموعات في حلب تحترف تزوير الشهادات الجامعية

■ حلب - عثمان إدلبي

عشرات الطلاب تخرجوا من جامعة حلب بوثائق مزورة وهم اليوم يعملون خارج البلاد بموجبها، وعشرات آخرين نالوا شهادات في الطب والصيدلة والهندسة والاقتصاد لم يكونوا طلاب يوماً. كل ذلك بسبب انتشار العديد من مجموعات تختص بتزوير الأوراق الرسمية وبشكل خاص الشهادات الجامعية.

لكن بالمقابل هناك العشرات من الطلاب ممن وقعوا في فخ تزوير شهادات جامعية وهم اليوم يقضون أحكاماً قضائية في سجون النظام بتهمة تزوير وثائق جامعية.

## طلاب في سجون النظام ضحية لعمليات التزوير

أصبح فرع وزارة الخارجية في حلب فخا يصطاد فيه النظام الطلاب الذين يلجؤون إلى عمليات التزوير لأن الطالب يضطر للحصول على ختم وزارة الخارجية لكي تقبل أوراقه خارج سوريا وهذا الختم الذي استعصى تزويره على المزورين كونه دقيق ويتغير من فترة إلى أخرى، فقام فرع الوزارة في حلب بوضع موظفين مختصين لتدقيق الوثائق قبل تصديقها من قبلهم وأي شخص يحمل أوراق حكومية يشك بأنها تحمل ختما أو توقيعا مزورا يعتقل من قبل الشرطة الموجودة.

إسماعيل فياض طالب استنفذ فرص النجاح في معهد إدارة الأعمال بحلب فقرر تزوير شهادة المعهد، يقول إسماعيل: "نصحني المزور أن استخرج وثيقة تخرج من كلية الاقتصاد فهي أقوى من شهادة المعهد مقابل 250 دولار فوافقت فوراً على عرضه".

ويضيف: "عندما استلمت الوثيقة لم تكن تحمل ختم وزارة الخارجية فطمأنني المزور بأنني استطيع أن أذهب للخارجية وأصدقها دون أن يشعر أحد بأنها مزورة، لكن عندما أعطيت الوثيقة لبائع الطوابع عرف أنها مزورة وبدافع الخوف مزقتها فوراً، وغادرت المكان مسرعاً".

وعادة ما يستغل المزور عدم استخدام غالبية هذه الوثائق في سوريا لإقناع زبونه، لأن جميع الدوائر الحكومية تراسل الجامعية التي صدرت الشهادة منها للتحقق من صحتها أما خارج سوريا لا تكشف فجميع الشركات خارج سوريا لا تراسل الجامعات السورية وخاصة الشركات الموجودة في الدول التي قطعت علاقتها مع النظام السوري كدول الخليج وأغلب الدول الأوربية.

## تصنيع الأختام الحكومية

هناك البعض من المزورين يزورون وثائق وأوراق حكومية بطريقة احترافية لا يمكن تمييزها عن الوثائق النظامية وتحتاج لمختصين لكشفها فهي تحمل أرقام تسلسلية وتواقيع مطابقة للأصلية وأختام حقيقة لا تسحب عن طريق (السكنر) كعمليات التزوير التقليدية.

فعمليات التزوير هذه ينفذها مجموعة من الأشخاص المختصين في مجال التصميم الالكتروني والطباعة ويساعدهم أشخاص آخرين يعملون بسرية تامة يلاحقون يومياً تغيرات الأختام والتواقيع والتغيرات التي تطرأ على أشكال الأوراق التي تطبع عليها الوثائق وكشوف العلامات ويتابعون بشكل مستمر تغيرات صياغة الكلام الذي يطبع على الوثائق في كل كلية أو معهد، ويستخدم هؤلاء المزورون أختام نظامية صنعوها بأنفسهم وعند كل تغير يصنعون ختما جديدا فهم اليوم يملكون أختام لجميع كليات جامعية حلب ولرئاسة الجامعية تمكنهم من أعطاء شهادة لأي شخص من أي كلية.

يقول "سامر" وهو أحد الشباب العاملين مع مجموعة تزوير بحلب: "بدأ عملي مع هذه المجموعة منذ حوالي السنة عن طريق أحد أصدقائي الذي كان يعمل بالتزوير وكان يحدثني دائما عن عمليات التزوير وحجم الفائدة الكبيرة الذي يجنيها من هذا العمل وكان يدعيني بشكل مستمر للعمل معهم، وعندما قبلت كلفت بمهمة أولية وهي أن أجلب الزبائن وكانوا يعطونني 5آلاف ليرة مقابل كل زبون أحضره، وطوال هذه السنة التي عملت بها مع هذه المجموعة لم أتعرف إلا على شخص واحد من هذه المجموعة كون بقية أفراد المجموعة يعملون في الخفاء خوفاً من عناصر الأمن الذين يلاحقون المزورين".

وعن مدى اقتناعه في هذا العمل وما الشيء الذي دفعه للعمل في التزوير يقول "سامر": "الشهادات المزورة مساعدة للطلاب الذين تركوا جامعاتهم بسبب ملاحقتهم من قبل النظام، وللشباب المتواجدين في دول الجوار والذين لا يملكون شهادات يعملوا بموجبها".

ويضيف: "الطلاب الذين يلجؤون للتزوير يأخذون شهادات ضمن مجال الدراسة التي تخصصوا بها في الجامعة قبل انقطاعهم عنها، فمثلاً لا يستطيع أي شخص أن يأخذ شهادة في الطب وهو لا يملك خلفية علمية عن هذه المهنة، لأنه سوف يكشف أثناء العمل".

## وثائق تخرج وشهادات ماجستير للتصدير

يلجأ الكثير من الشباب السوريين العاملين في دول الخليج وتركيا وبعض الدول الأوربية الأخرى بتزوير شهادات أعلى من الشهادات التي يحملونها ليحصلوا على ترقية في عملهم وبالمقابل سوف سيحصلون على راتب أفضل.

يقول سامر "في الفترة الأخيرة أصبحت أركز على جلب زبائن من الشباب المغتربين كونهم يدفعون مبالغ أكبر ولا يترددون بطلب الشهادات المزورة لأنهم لا يخافون من الملاحقة الأمنية، والآن هناك اقبال كبير من قبل الشباب المغتربين على الشهادات المزورة".

ازدياد الطلب على الشهادات المزورة جعل "المعلم الذي يعمل لديه سامر يفتح فرعاً خارج سورية لتسهيل التحويلات المالية.

يقول "سامر" مع ازدياد العمل والطلب على الشهادات المزورة، أرسل المعلم الذي أعمل لديه شاباً لمدينة أربيل العراقية لكي يستلم الحوالات المالية ويتكفل بأمور شحن الأوراق للدول الأجنبية كون هذه الأمور من الصعب أن تتم من داخل سوريا".

ومن بين الأشخاص الذين قرروا الحصول على شهادة مزورة لتحسين راتبهم الشاب "نورس" وهو سوري يعمل في دولة الإمارات ويحمل شهادة مساعد مهندس.

يقول "نورس": "أحمل شهادة معهد هندسي وراتبي لا يتجوز 1500 دولار كون الرواتب يمنح حسب الكفاءة العلمية، وعملت في مدينة دبي لست سنوات ولم أستطع أن أوفر شيئا من هذا الراتب بسبب غلاء المعيشة في هذه المدينة".

ويوضح "نورس": "قررت أن أزور شهادة هندسة معمارية مع كشف علامات، بعد أن عرفت عن طريق أحد الأصدقاء مزوراً واتفقت معه أن يرسل لي شهادة هندسة معمارية مقابل 300 دولار متضمنة تكاليف الشحن، فتم الأمر وتركت عملي القديم وذهبت إلى شركة أخرى في مدينة أبو ظبي وأبرزت شهادتي الجديدة وتوظفت على أساسها، وأنا اليوم أحصل على مبلغ 4500 دولار كمرتب شهري".

# الشركس والحرب في سوريا
# ملح على الجرح

■ ياسر مرزوق

على الرغم من هذا الكم الكبير من التشاؤم الذي يثيره سيل الإحباطات والنكسات والخذلان والإذلال، وغير ذلك مما يجود به قاموس النواح العربي، فإن الصورة ليست بهذه القتامة التي تعكسها النظرة السطحية للأمور، فهناك درجة كبيرة من التفاؤل تبرز حين نتعمق في فهمها، ونحاول أن نخترق القشرة السطحية التي تبعث على الأسى والتشاؤم، ومبعث التفاؤل والأمل هنا هو ملاحظة التغيّر، وإن كان بطيئاً ومتدرجاً ولكنه حثيث، وهو آخذ بالتغلغل في كل زاوية من زوايا حياتنا، ثقافياً أم سياسياً أم اجتماعياً، ولا بد له، آخذين في الاعتبار أننا نتحدث عن فترات زمنية طويلة نسبياً أن يحقق في عالمنا هذا ما تحقق في أوروبا والغرب خلال قرون نهضتهم التي امتدت لعدة قرون، ولكن القرن الخامس عشر الميلادي يبقى نقطة الانطلاق الحقيقية لذلك، كما أن قرننا هذا سوف يكون ذا مكانة في التاريخ العربي معادلة لمكانة ذلك القرن لديهم.

تتجه سوريا اليوم وإن تلكأت، وإن تآمرت عليها شعوب الأرض، نحو إنتاج نظام ديمقراطي وعلماني يستجيب لمطالب الروح الإنسانية ومطالب العقل، ويمكن جميع ذوي الحقوق من التمتع بحقوقهم في ظل سيادة القانون وسيادة الشعب، ونحو بناء ثقافة سياسية قائمة على التعدد الثقافي واللغوي والديني الذي حتماً سيعطي لكل الأقليات حقوقها ويعترف بخصوصيتها، وبالحديث عن التعدد يأتي ملفنا اليوم استكمالاً لملفات سابقة عن الأقليات العرقية والدينية في سوريا.

يفرق الدكتور "غسان سلامة" بين "أقليات نشطة سياسياً وأخرى مستكينة، أقليات تسعى إلى الإبقاء على الشعور الأقلوي وعلى شخصيتها الذاتية وأخرى أكثر استعداداً لمستوى عال من الاندماج الاجتماعي - السياسي"، ويخالف الشركس موضوع ملفنا اليوم تقسيم سلامة، فهم الأقلية الأكثر حفاظاً على عاداتها وتقاليدها، وهم في الوقت عينه الأكثر اندماجاً في المجتمع السوري.

## الأديغة "الشركس"

ينحدر الأديغة أو الشركس من العرق الآري، ويعتبرون الشعب الأصلي لمنطقة شمال القوقاز، التي تشكل حداً فاصلاً بين آسيا وأوروبا، وتمتد ما بين البحرين الأسود وقزوين، ويعتقد أن الإغريق هم من أطلق عليهم تسمية شركس، على الرغم من أن الموطن الأصلي للأديغة هو في منطقة شمال القوقاز، إلا أن أكثر من نصفهم يعيش اليوم في تركيا، بينما بقي ربعهم في شمال القوقاز وفي السواحل الشمالية الغربية للقوقاز على البحر الأسود، والربع المتبقي في بلدان المشرق العربي.

ولا يسع أي مقال أو ملف الإحاطة بأصول الشركس واختلافاتهم فكل فئة منهم تمتلك خصائص ولهجات مختلفة عن الآخرين، لكنهم يشتركون، على تنوعهم، في العادات والتقاليد والمفاهيم الاجتماعية، وهم "الأديغا، الأستين، الداغستان، الشيشان، الأباظة، الشابوغ" وتمتلك هذه المجموعات ثقافة محمولة عبر الأجيال، تمتد إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في الحد الأدنى.

يقول الباحث الشركسي "زهير تحاوخو : يُعدّ الشركس من أقدم الشعوب في العالم، وهم اليوم يعيشون في أكثر من 50 دولة كشعب مُهجر من بلادهم الواقعة شمال القوقاز المكون من 12 قبيلة، لهم تراث غني جداً، ولهم عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم ومأكولاتهم، موسيقاهم وآلاتهم ولغتهم التي لا يزالون يستخدمونها إلى اليوم.

ومنعاً للغط في تسمية هذه الشعوب فقد أقر المؤتمر الشركسي العالمي الذي عقد في "مايكوب" عام 1991، تحت عنوان "نحن أديغا شركس" باعتماد اسم "أديغا" لتحديد الهوية إن كان باللغة الشركسية واسم "شركس" إن كان باللغة الروسية أو اللغات الأخرى. واستناداً إلى هذه التوصية أقر المؤتمر الشركسي الأول الذي عقد في نالشك في عام 1992 توحيد الاسم العرقي للشراكسة.

وتجمع المصادر التاريخية على تصنيف الشركس كأمة محاربة، فبحسب العالم "جول تروسو" صاحب القاموس الكبير فإن كلمة الأديغة تعني، الإنسان الكامل. كما أنها تعني باللغة السنسكريتية أصيل ونجيب أيضاً وبالسومرية تعني "الرجال ذوو السيوف القاطعة"، أما ابن خلدون فيقول عنهم "الشركس هم جيل من الناس يسكنون جبال القوقاز، وهم أكمل بني آدم خلقه وأحسنهم وجوهاً وأشجعهم قلباً وأشدهم للشدائد مقاومة"، بينما يصفهم البستاني قائلاً: "هم قوم حداد النظر أسلحتهم مشهورة وهم أعلى الناس همه وأشجعهم وأجملهم"، حتى أن الكاتب الروسي الشهير "مكسيم غوركي" كتب رواية عن واحدٍ من زعمائهم ممن ناصر الثورة البلشفية قالمق بيطال وقال عنه: "من مميزات هذا العصر ظهور أناس في مثل شجاعة وحكمة زعيم القبرطاي قالمق بيطال".

## أديغة خابزة

مجموعة الأعراف والمفاهيم والتقاليد المتوارثة لدى المجتمع الشركسي، وتشكل دستوراً اجتماعياً شبه دائم يتبدّل ويتطوّر حسب تطوّر المجتمع، وقد توارث الشركس هذه القواعد رغم تبدّل دينهم لأكثر من مرّة عبر التاريخ، وإذا جمعنا التّعريفات المتعددة لـ "الأديغة خابزة"، حصلنا على مصطلحات متشابهة، فهي "دستور"، وحكمها حكم "القانون"، وهذا القانون عظيم ومقدس وأخلاقي، وهي تمس جميع جوانب الحياة، فتشمل "كل التّنظيمات المتعلقة بالمجتمع الشّركسي" وبذلك تتجاوز كونها مجرد عادات وتقاليد لتصبح القانون الأديغي، فهي ضوابط سلوكية وقانونية وأخلاقية يخضع لها الحاكم والمحكوم والمحكمة.

وقد اغتنت هذه الأعراف في منبج في سوريا بسبب انتماء الشراكسة فيها لمعظم القبائل الشركسيّة، ممّا ساهم في تطوير وتوحيد العادات أكثر فأكثر وتنوّع الألبسة الفلكلوريّة، وتتناول "أديغة خابزة" مفاهيم محدّدة عن الطبيعة والإنسان والبيئة، وعن قوّة السماء والخلق والقدر، وأخرى عن الحياة والعمل والزواج وعلاقة الفرد بالجماعة والأسرة، وكذلك أدب المجالسة والاختلاط والتخاطب وتقاليد الحرب والسلم والثأر وعقد الصلح والتحالف والضيافة وطريقة انتقاء اللباس في زمن الحرب والسلم والعمل والاحتفال للشباب والكبار والفتيات والنساء.

## موجات الهجرة الشركسية

استوطن الشركس في المنطقة العربية قبل موجات الهجرة المعروفة فقد تواجدوا في مصر والسودان وبلاد الشام، وهم سلالات المماليك، حيث أسس المماليك الشراكسة دولة المماليك البرجية التي حكمت مصر من عام 1382 حتى الفتح العثماني عام 1517.

أما الموجة الأولى لهجرات الشركس إلى سوريا فترجع للنصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد ثورة القائد "شامل" ضد الحكم القيصري وفشل تلك الثورة، هربا من عمليات الإبادة الجماعية التي مارستها روسيا القيصرية بحقهم، والإبادة الجماعية ليست رواية شركسية أحادية الجانب، بل إن البرلمان الجورجي صوت بتاريخ 21 أيار 2011 بـ 95 صوتاً مقابل لا شيء للاعتراف بأن القتل الجماعي "المخطط" للشراكسة على يد الإمبراطورية الروسية والذي رافقته "مجاعات وأوبئة متعمدة" يعتبر "عملية إبادة جماعية".

وكان رئيس أركان الجيش الروسي "ديميتري ميليوتين" حدد أهداف الإمبراطورية في الحرب في مذكرة عام 1857 صادق عليها الإمبراطور اسكندر الثاني، وتلخص المذكرة الهدف من الحرب بأنه "ليس تطهير التلال والساحل من الشراكسة فحسب.. بل الهدف هو إفناء الشراكسة لتطهير الأرض من هؤلاء الجبليين."، وقد قام الجنود الروس بحرق القرى الشركسية بطريقة ممنهجة، حيث تم حرق كافة قرى الشابسوغ "سوشي" دون استثناء، وتم حرق أكثر من ألف قرية في مناطق الأبزاخ لوحدها بين عامي 1857 و1859.

وفي الأرشيف الحربي الروسي يذكر الجنرال داخوفسكي: "في الأول آذار عام 1846 وفي الأيام الثلاثة الأولى من تحركنا في أراضي الشابسوغ قمنا بإحراق كل شيء بين التلال الساحلية والشاطئ بحيث لم يبقى شيء واقفاً، وفي صباح 19 آذار 1846 دخلت قواتنا أراضي الوبيخ في منطقة فارادنا الأكثر ازدحاماً بالسكان وتم إحراق كل القرى".

يقول "درزدوف" في كتابه "الصراع الأخير مع الجبليين في غرب القفقاس": "كنت في شباط عام 1864 وضمن وحدة روسية تطرد الأبزاخ، وواجهتنا في طريقنا مناظر مرعبة، جثث أطفال وشيوخ ملقاة في كل مكان وقد أكلتها الكلاب جزئيا، وشاهدنا المهجرين ضعاف الأجسام يئنون من الجوع والمرض، وبالكاد يتحركون للأمام، ويتساقطون من الوهن، وتبدأ الكلاب بالتهامهم وهم بعد أحياء، أما الأصحاء فلم يكن لديهم الوقت للتفكير بالذين يموتون، لأننا كنا نسوقهم بأسرع ما يمكن إلى شاطئ البحر".

وفي الحادي والعشرين من شهر أيار عام 1864 أعلن نائب القيصر الروسي انتهاء الحروب الروسية القفقاسية التي استمرت قرناً ونيف من الزمان، وراح ضحيتها ما يزيد عن ثمانمائة ألف شركسي وبدأت بانتهائها عملية تهجير الشركس من قبل السلطات الروسية عن أوطانهم.

وقد استقرت أول موجة في لواء ماراش التابع

المهرجان الرياضي السنوي في المدرسة الأديغية في القنطيرة عام 1934م

لحلب، وكلف رجالها بحفظ الأمن في المنطقة بتكليف من الوالي العثماني في حينه، تبعها عام 1872 موجة ثانية تضم حوالي ألف شركسي بقيادة القائد الشركسي جولان استقرت بالقرب من مدينتي حماة وحمص وعلى هضبة الجولان في منطقة حوران. ويقال أن هضبة الجولان سميت بهذا الاسم تيمناً باسم القائد الشركسي ذائع الصيت.

أما موجة الهجرة الأكبر فقد كانت خلال الحرب العثمانية الروسية أي بين عامي 1877 و1878، حيث أن العثمانيين كانوا قد استقدموا الشركس الهاربين من بلادهم وعملوا على إعادة توطينهم في ما يعرف اليوم بيوغسلافيا وبلغاريا ورومانيا وجزر قبرص وكريت، لمواجهة حركات التحرر القومية للمسيحيين، وكان لهم الدور الفاعل في مواجهة الثورة التي اندلعت في بلغاريا عام 1876.

في كانون الثاني عان 1877 عقد مؤتمر الدول الأوربية في إسطنبول لإنهاء الحرب الروسية العثمانية، ونتج عنه قرار يقضي بتهجير الشراكسة من دول البلقان إلى الولايات الآسيوية للدولة العثمانية، كما لم تلحظ معاهدتا سان ستيفان وبرلين للسلام مسألة تهجير الشراكسة من ديارهم وحقهم في العودة، مما دعا بالكثير منهم للهجرة جنوباً إلى سوريا وانضموا إلى من سبقهم، وقد ازداد عدد المهاجرين ليصل في سوريا إلى قرابة 70 ألف، وخلال العام اللاحق آستمرا موجات المهاجرين بالوفود إلى سوريا واستقروا في هضاب الجولان وشرقي الأردن وبالقرب من حماة وحمص وحلب، وأسسوا قرى كالقنيطرة ومنبج ومع الوقت تحولت هذه القرى إلى مدن، وبحسب الإحصاءات الصادرة عن السفارات الروسية في كل من دمشق وبيروت فإن عدد الشراكسة المهاجرين إلى سوريا بين عامي 1878 و1880 يتراوح بين 40، 000 و50، 000 مهاجر.

## بين سوريا وروسيا

اندمج الشركس بسرعة في محيطهم على الرغم من حفاظهم على عاداتهم وتقاليدهم، ومع إعلان الشريف حسين الثورة على العثمانيين التزم الشركس الحياد، إلا أنه وما إن وصلت طلائع الجيش العربي جنوب سوريا، حتى انضموا لصفوفه كما آزروه لاحقاً في حربه ضد الانتداب الفرنسي، وفي العشرينات من القرن الماضي قام بعض المثقفين الشراكسة بمحاولات مهمة لإحياء تراثهم الثقافي، وتم افتتاح أكثر من أربعين مدرسة ابتدائية تدرّس فيها اللغة الشركسية ومعظمها في القنيطرة. بعد ذلك وفي عام 1928 تم إصدار جريدة "مارج" الأسبوعية في القنيطرة، لصاحبها "طارق ممتاز حاغور"، وكانت الجريدة تنشر بثلاثة لغات الشركسية والعربية والفرنسية.

إلا أن الحكومة السورية لاحقاً قامت بمنع نشر الجريدة كما أغلقت المدارس الشركسية بالإضافة إلى الجمعية الخيرية الشركسية في القنيطرة، كما قامت باستجواب المثقفين الشراكسة الداعمين للفعاليات الثقافية السابقة للاشتباه بهم بالانخراط بالعمل السياسي الإيديولوجي.

في الستينات من القرن الماضي ومع توطد العلاقة بين الاتحاد السوفيتي وسوريا، أبدى بعض اليساريين الشركس رغبة في العودة إلى موطنهم الأصلي وبالفعل توجهت مجموعة مسؤولين وممثل عن جمهورية قباردية بالقار السوفيتية إلى سوريا لبحث مسألة عودة الشراكسة إلى موطنهم، إلا أن مطلبهم بالعودة إلى قفقاسيا لم يلقى إجابة، وقد لعبت الحكومة السورية دوراً في منعهم من العودة إلى وطنهم الأم، فالتيار القومي المتطرف في الستينات خشي من إحياء أي نزعات أو ادعاءات تخرج عن الخطاب القومي السائد حينها.

وقد حصل الشركس على الجنسية السورية وتمتعوا بالقدر الذي تمتع به السوريون من حقوق المواطنة، وكان منهم نواب ووزراء وضباط وقادة في الجيش، وبعد الاحتلال الإسرائيلي للجولان عام 1967 هاجر معظمهم من الجولان إلى دمشق وضواحيها " منطقة قدسيا " علماً أنهم كانوا يشكلون نسبة 80 بالمئة من سكان الجولان، حينها قدرت بعض الأوساط غير الرسمية عدد الشركس في سوريا بنحو 1 بالمئة من السكان 250 ألف نسمة تقريباً.

عام 2011 ومع اندلاع الثورة السورية، التزم الشركس، باستثناء بعض الناشطين، الحياد التام، تكراراً ربما لموقفهم من ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية، إلا أنهم وعلى الرغم من حيادهم فقد أصابهم ما أصاب الشعب السوري من نكبات اقتصادية وتهجير نظراً لانتشارهم على مساحة الجغرافيا السورية.

ومع ارهاصات الصراع المسلح في سوريا وفي كانون الأول عام 2011 ناشدت عشرات العائلات الشركسية التي تعيش في سوريا الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف للسماح لها الانتقال إلى شمال القوقاز، وكان نشطاء الشركس في شمال القوقاز في أيار من العام نفسه ناشدوا موسكو مساعدة ذويهم في سوريا، وكان الرد الروسي بالرفض كون الوضع لا يتطلب تدخّلها، ولم تقف المطالبات عند هذا الحد ففي عام 2012 وجه المشاركون في المؤتمر التاسع للاتحاد الشركسي الدولي نداء إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ورئيسة مجلس الاتحاد فالنتينا ماتفيينكو ورئيس مجلس الدوما سيرغي ناريشكين يناشدونهم فيه تقديم الحماية إلى الشركس القاطنين في سورية ومساعدة الراغبين منهم في العودة إلى وطنهم التاريخي في شمال القوقاز، وفي بدايات عام 2013 صنفت المنظمة الألمانية للدفاع عن الشعوب المهددة، الشركس ضمن الشعوب الصغيرة المهددة بالإبادة، وطالبت الحكومة الروسية بفتح الباب أمام عودة عشرات آلاف الشركس الساعين لمغادرة سوريا هرباً من الحرب.

تجاهلت الحكومة الروسية هذه الطلبات التي قد تكون فردية لا تمثل الشارع الشركسي، خاصةً أن جمهوريات الاتحاد الروسي فقيرة اقتصادياً ولا تقدم مغريات للمواطنين أو اللاجئين، ومرد هذا التجاهل الإحراج الذي يشكله الطلب للحكومة الروسية الحليف الرئيسي لنظام الأسد في حربه على الإرهاب حسب زعمها، فموسكو لا تريد أن يتصف الوضع في هذا البلد بأنه حرب أهلية أو كارثة إنسانية. ونقل الشركس من سوريا إليها ينقض ادعاءاتها في مواجهة الغرب عن انتصار النظام الوشيك، وعودة الاستقرار إلى سورية بانتصار النظام على المجموعات الارهابية.

إضافةً إلى أن إعادة الشركس إلى وطنهم يفتح الباب واسعاً أمام العديد من المطالبات للشعوب الأصلية التي هجرتها روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي لاحقاً، ويحمل العديد من المخاطر القانونية للحكومة الروسية التي احتفلت بدورة الألعاب الأولمبية الشتوية في "سوتشي" المعقل الأخير للشركس في حرب الروس عليهم، والتي كان مينائها مركزياً للتهجير القسري بعد الحرب، ويكفي أن نذكر أن كراسنايا بوليانا "التلة الحمراء" الموقع الرئيس لجميع فروع رياضة التزلج في الأولمبياد الشتوية، سميت بهذا الاسم بسبب الدماء التي سفكت من الشركس على الجليد لمدة طويلة من الزمن.

# هل نمتلك الدفة

■ دمشق - زليخة سالم

بدأت ثورة شعبية وتحولت إلى ساحة صراع دولية فإلى ماذا ستنتهي؟ وأين دور السوريين في هذه المرحلة، وماذا فعلوا للإبقاء على دفة التجديف بأيديهم؟

أسئلة باتت تؤرق السوريين الذين أفاقوا من الحلم على وطن مدمر، وهم مشردين في أصقاع الدنيا، تكالبت أمم الأرض لإجهاض ثورتهم، وإدخالهم في أتون حرب لا أحد يعرف نهايتها، وإلى ماذا ستؤول.

دأب النظام منذ بداية الثورة في خطة ممنهجة على إخلاء الساحة من الثوار والناشطين الفاعلين على الأرض، فقتل من قتل، وهجر من هجر، واعتقل ولاحق من تبقى منهم في الداخل، ومازال، للإبقاء على المتشددين والمتطرفين الذين " إن لم نقل خلقّهم وعبأهم من خلال إخراج الكثير منهم من سجونه " فإنه سهل صعودهم، وانتشارهم في كل المناطق، أولا لكي يظهر للمجتمع الدولي بأنه يتعرض لمؤامرة كونية، وثانياً لكي يبدو بأنه يحارب الإرهاب، لعبة لعبها بذكاء ومهارة، رغم أنها مكشوفة وواضحة، قابلها غباء وقلة حيلة من المعارضة، التي استطاع أن يجرها إلى حيث يريد تماماً.

روجّ النظام بداية لجبهة النصرة، وساعدته المعارضة في ذلك حين انبرى أعضاء المجلس الوطني والائتلاف للدفاع عنها، ثم داعش التي صمتت المعارضة عن دخولها إلى الأراضي السورية، واحتلال المناطق التي قام بتحريرها الجيش الحر، حتى وقع الفأس بالرأس وأصبحت قوة لا يستهان بها رغم تعمد تضخيمها من قبل النظام، والمجتمع الدولي، لتبرير تشكيل تحالف دولي، تشير كل الدلائل إلى أنه حتى الآن يمهد لتوسع داعش وتمددها، ويتغاضى عن انتهاكات وجرائم النظام بحق المدنيين، واستمرار نزيف الدم السوري.

قضايانا لا تختصر بداعش فهي ظاهرة صنعتها المخابرات العالمية خدمة لمصالحها، واستثمرتها المخابرات السورية لإجهاض الثورة، ورغم كل الجرائم والانتهاكات اللاإنسانية واللاأخلاقية التي اقترفتها، من ذبح وقتل وتقطيع رؤوس، ورجم وقطع أيدي، وسبي نساء، فهي لاتقارن بجرائم النظام ومجازره وتدميره للبشر والحجر، وعلينا أن لا نفقد البوصلة ونتلهى بالجزئيات، ونترك النظام وهو الخطر الحقيقي الداهم على سورية وشعبها، وننساق وراء بروبغاندا دولية، تستخف بعقولنا، وبإرادتنا في تحقيق أهداف الثورة في الحرية والكرامة والعدالة والمواطنة، وعلينا أن نعي جيداً أن سقوط النظام هو سقوط لداعش وملحقاتها.

الفرقة، والتخوين، وبيع الولاءات هي عنوان هذه المرحلة التي يجري فيها تنفيذ تقسيم سورية إلى كانتونات طائفية، وتدمير ما تبقى من نسيج اجتماعي، ويحاك ما يحاك لها دولياً باتفاق اميركي اسرائيلي ايراني، وغياب سوري تام، والمعارضة الخارجية تمضي أياماً عديدة في جدل بيزنطي لإعادة انتخاب رئيس للحكومة المؤقتة التي لم تقدم شيئاً للسوريين، ولن تقدم، أقله لأنها مستبعدة عن أي قرار دولي يخص سورية والسوريين، ولأن الممولين أرادوا لهذه التكتلات " المجلس الوطني، والائتلاف، والحكومة المؤقتة " أن تبقى عاجزة خاضعة للتجاذبات السياسية البعيدة كل البعد عن تحقيق أهداف الثورة السورية، ولكي تبقى دون مستوى البديل المطلوب دولياً للنظام.

لن تنتصر الثورة إلا بالسوريين أنفسهم، وبإيمانهم بالأهداف التي خرجوا من أجلها، فأربع سنوات كافية لاستنتاج أن أحداً في هذا العالم لا يريد للثورة السورية أن تنتصر لا إقليمياً ولا دولياً، لأن التغيير في سورية سيغير وجه المنطقة بأكملها نظراً لموقعها الجغرافي والتاريخي، ولأن إسرائيل حريصة على عدم نهوض أي دولة عربية من تحت نير الاستبداد والدكتاتورية التي حمت وجودها وحدودها عقود من الزمن، فكيف بالدولة الجارة لها.

وعلى الرغم من افقار الثورة من ثوارها الحقيقيين واستهدافهم من النظام وحلفائه، والكتائب المتشددة " داعش والنصرة " وغيرهما، فما زال لدينا في الداخل أشخاص مميزين وجديرين بالثقة، شرط أن ندفعهم ونقف بجانبهم وندعم جهودهم " لا أن نخوّنهم ونستخف بهم " وأن ندعهم يعملون دون عوائق من جانبنا على الأقل، ونرى نتيجة عملهم للحكم عليه لاحقاً، وعلينا العمل على الغاء ثقافة " الأنا " التي اجتاحت المجتمع السوري بعد الثورة، وتكريس الإيجابية، وتجاوز السلبية، والثورة على أنفسنا بداية للتخلص من ثقافات الفساد والاستبداد وملحقاتها التي كرسها هذا النظام عبر نصف قرن من استيلائه على السلطة، ومازلنا نعيش نتائجها حتى الآن.

فهل نستطيع امتلاك الدفة واستعادة الثورة؟ بتعاوننا ووحدتنا فقط نستعيدها، وبتجاوزنا لخلافاتنا أو تأجيلها، وبتشجيع من يلتحق بالثورة مهما تأخر، وليس تهديده، والالتقاء على تشكيل قيادة ثورية في الداخل من كل المناطق والأطياف، تؤمن بالأهداف التي دفع السوريون ثمنها غالياً، والأهم أن تؤمن أن إرادة الشعوب لا تقهر.

عمل للفنان مصطفى يعقوب 2014

# حقوق الأخ الأكبر، مبادرة الائتلاف الإعلامية

■ الشبكة السورية للإعلام المطبوع
شبكة متكافلة متضامنة تضم صحف (سوريتنا، عنب بلدي، صدى الشام، تمدن، كلنا سوريون)

وصف جورج أورويل في روايته "ونستون سميث" بشكل دقيق تحول القيم البشرية إلى أمور هامشية، ومن ثم سطوة الأحزاب السلطوية والشمولية على الناس والشعوب ليكونوا أرقامًا هامشية في الحياة بلا مشاعر أو عواطف بلا طموحات أو آمال، حيث يعملون كالآلات خوفًا من الأخ الأكبر.

حقوق الأخ الأكبر أو وصفها الاشتراكي "النزعة المركزية" لا يتسم بها رجال دولة الأسد وحدهم، بل هي ثقافة المجتمع الذي يحكمه الأسد والأسديون، أنتجت، وما زالت، مجموعة مكررة من البديهيات التي لا تعدو أن تكون شعارات رديئة حول الرعب من التعدد والاختلاف، وبالتالي ضرورة توحيد وهيكلة وتنظيم عمل مؤسسات الثورة المدنية والعسكرية.

في آذار 2014 التقى عدد من رؤساء تحرير صحف الإعلام الجديد مصادفة مع عضو الائتلاف الوطني فايز سارة في أحد مقاهي اسطنبول، ولدى معاتبته لتقصير الائتلاف في اعتبار صحف الثورة والاعتراف بها أو المساهمة بدعمها ولو معنويًا، شكك الأخير بمهنية هذه الوسائل، رغم اعترافه بعدم معرفة أسمائها أو متابعة أي منها.

وحمل سارة الصحف مسؤولية التقصير في تقديم نفسها وطرح المبادرات الجديرة بالاهتمام، متعهدًا، بصفته عضوًا للائتلاف ومستشارًا إعلاميًا لرئيسه، بتنظيم ملتقى يجمع الائتلاف بوسائل الإعلام البديل، فيما لو تقدمت هذه الوسائل بمبادرة جادة بهذا الخصوص.

لم تأخذ المسألة أكثر من يوم واحد حتى كانت المبادرة جاهزة في بريد سارة، وتم التأكيد على استلامها هاتفيًا، وحدد المستشار وعده بتنظيم الملتقى في تركيا (غازي عنتاب أو اسطنبول).

وبعد تجاهل المبادرة وفشل مؤسسات المعارضة الرسمية باحتواء أو تنظيم الجهود والمبادرات الإعلامية التي أطلقها السوريون على هامش الثورة، بدأت مجموعة شارك فيها أكثر من 30 وسيلة إعلامية بينهم أعضاء من "رابطة الصحفيين السوريين" بالعمل على "ميثاق شرف إعلامي" يحدد الخطوط الرئيسية لإعلام احترافي في سوريا.

بالتزامن مع ذلك أعادت الشبكة السورية للإعلام المطبوع، المكونة من صحف (سوريتنا، عنب بلدي، تمدن، كلنا سوريون، صدى الشام وكلنا سوريون)، إرسال مبادرة آذار التي تدعو الائتلاف الوطني لتنظيم ملتقى إعلامي يضم وسائل محلية مستقلة وأخرى حزبية، ويتناول إشكاليات التغطية الإعلامية في الداخل السوري، ويبحث في العلاقة ما بين وسائل الإعلام المحلية والهيئات السياسية للمعارضة السورية،

## الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

وسبل تعزيز التعاون والتنسيق فيما بينها بما يضمن استقلاليتها ويتيح لها الاستفادة من علاقات ونفوذ الائتلاف وقدراته التنظيمية لدعم ورفد وتمويل الإعلام المستقل الناشئ في سوريا.

وتضمن المقترح، الذي أرسل إلى فايز سارة مجددًا وأكد استلامه، دعوة 15 وسيلة مطبوعة، و8 وسائل إعلام مرئية ومسموعة و8 وكالات أنباء، تم تسميتها جميعًا.

لكن ما حصل في المرة الأولى تكرر في الثانية، فالمبادرة ظلت خبيئة بريد المستشار الإعلامي، الذي لم يبد أي اكتراث بها، كما لم يقم - على الأقل - بتحويلها إلى مكتب الائتلاف الإعلامي الذي قال مديره التنفيذي أنه لم يعلم بالمبادرة من أساسها.

في 18 تشرين الأول الجاري أعلن الائتلاف الوطني إطلاق مؤتمر صناعة الإعلام الوطني بهدف "وضع استراتيجية كاملة لصناعة خطاب إعلامي متوازن وغير إلغائي وقادر على قيادة الوطن" كما جاء في تصريح رئيس الائتلاف هادي البحرة في افتتاح المؤتمر.

وتضمن المؤتمر، الذي عقد في اسطنبول واستمر لثلاثة أيام وبلغت تكاليفه 200 ألف دولار بحسب معلومات تداولها إعلاميون ولم ينفها الائتلاف، تضمن ورشات عمل استقدم إليها خبراء وأكاديميين إعلاميين سوريين، أجمعت عدة وسائل محلية أن غالبيتهم غير مؤثرين أو مساهمين بصناعة إعلام الثورة، في تجاهل غير مبرر لعشرات الوسائل المحلية التي تمت الإشارة إلى بعضها في مبادرة الشبكة، والتي تعمل بالقرب من مؤسسات الائتلاف أو داخل الأراضي السورية.

في تعليقه على المؤتمر قال سارة (الذي شارك في المؤتمر) إن هذه الخطوة "ضرورية ولازمة في هذه المرحلة، والتي كان لابدّ من الشروع بها منذ زمن بعيد، ولكن الوصول متأخرين خير من عدم الوصول"، لكنه في اتصال هاتفي أجراه معه ممثل الشبكة السورية للإعلام المطبوع عقب انتهاء المؤتمر، قال سارة بشكل واضح: "بصراحة نسيت مبادرتكم".

إذن الأكاديميون وذوو الخبرة من المقربين منه هم من يرى فيهم الائتلاف أن يجتمعوا لتقرير استراتيجيات الإعلام الوطني، أما بقية الإعلاميين ووسائل الإعلام البديل والمنابر المحلية، فغالبًا سيفكر منظموا المؤتمر بإلحاقهم بما أجمعوا عليه، حين يأتي الوقت المناسب.

سبب هذا النشاز الذي نعرضه وينفّر ائتلاف "نا" منا، هو استقلاليتنا لا أكثر، ويدل على ذلك أبلغ دلالة قول السيد فايز سارة خلال الاجتماع: "**إنّ هذه الشراكة لا بد أن تقوم تحت رعاية ثلة من الخبراء والأكاديميين في المجال الإعلامي لتحديد الوجهة الإعلامية لأشرعة الثورة بطريقة مدروسة ومتقنة**"، وفق ما نقل المكتب الإعلامي للائتلاف.

من غير المبالغ فيه القول، إن لحظة من لحظات المواجهة بين سلطوية أجهزة الائتلاف لمركزة العمل وتذويب فعالياتنا المتعددة والمختلفة كسوريين في قناة الخطاب الواحد، وبين النزعة الثورية للتحرر من القوالب، وتطوير أشكال تعبير مستقلة وغير خاضعة للتوجيه، تحين اليوم.

لا آباء في سوريا الآن؛ ونحن المستقلون، برواياتنا المتنوعة للحدث، باختلافنا وعدم تجانسنا، بحماستنا وطيشنا وانعدام مهنيتنا، نحن حملة الكاميرات والمسجلات الصغيرة، والأقلام، والأسماء المبالغ فيها، غير القابلين للضبط والتوجيه، نحن الجسم الأكبر الذي عليه تنهض تجربة الثورة السورية الإعلامية، من الناشطين المحليين والمراسلين والمواطنين الصحفيين، أنشأنا صحفنا ومنابرنا لننقل صورة عنا ونمكن أنفسنا والناس من التعبير والقول.

وأما محترفو مؤسسات النظام الإعلامية المنشقون، وعجائز الثقافة والصحافة، ممن لم يستطيعوا في دواخلهم تجاوز المستبد، وما زالوا يعيشون قيم السلطة وزمانها ومفرداتها وأدوات عملها، فلم نرهم والبراميل تتساقط علينا، ولا حين كان المجاهدون يمضون إلى المعارك ويستشهد الإعلاميون حملة الكاميرات إلى جانب المجاهدين حملة البنادق، بل رأيناهم في أماكن تنظيم الدورات والاجتماعات في أنطاكية وعنتاب واسطنبول، وراء مكاتبهم، يوجّهون ويقررون الحقائق الكبيرة، ويضيقون ذرعاً بجهلنا..

# صاحبة قلم "فتاة قاسيون": مقبولة الشلق 1921 - 1986

■ ياسر مرزوق

ولدت مقبولة الشلق في دمشق عام 1921 لأسرة دمشقية متدينة ومستنيرة آمنت بحقوق المرأة في العلم والعمل، والدها عبد الحميد حمدي الشلق قاضي الاستئناف في دمشق، المعروف بنزاهته ووطنيته، تلقت علومها الأولية في المدرسة الابتدائية في حي المهاجرين، لتتابع دراستها الإعدادية والثانوية في مدرسة تجهيز البنات، لتنهي دراستها الثانوية في المعهد الفرنسي العربي اللاييك، وفي عام 1941انتسبت إلى كلية الحقوق وتخرجت عام 1944 فكانت أول فتاة سورية، تحمل إجازة في الحقوق من الجامعة السورية.

تجدر الإشارة إلى أن وبالرغم من إجماع المراجع على كون السيدة الشلق أول خريجة حقوق في سوريا، وتعريفها بهذه الصفة إلا أنه وبالتدقيق تبين أن أول امرأة تحمل إجازة في الحقوق في سوريا هي السيدة «بوران طرزي» والتي نالت إجازة في الحقوق من المعهد الحقوقي الفرنسي في بيروت، أما أول امرأة تحمل شهادة الحقوق من سوريا فكانت السيدة «فاطمة مراد» كريمة العلامة الشيخ سعيد مراد أستاذ المجلة العدلية، وهي حاصلة على إجازة في الحقوق من معهد الحقوق العربي بدمشق.

مارست الشلق العمل العام وهي طالبة في المرحلة الثانوية، حين تأثرت بالفكر الماركسي عن طريق أخيها فوزي الشلق العائد من فرنسا عام 1936 متشبعاً بهذا الفكر، وعن تلك الفترة ينقل الباحث «زياد الملا» في كتابه «صفحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوري 1924 – 1954» الصفحة 131 عن الشلق قولها: «كنت الوحيدة في البداية أحمل هذا الفكر في المدرسة. شاركت في كل النشاطات السياسية في دمشق، وأذكر أني ألقيت كلمة حماسية ضد الاستعمار نُشرت في جريدة «فتى العرب». شاركت في مؤتمر عصبة مكافحة الفاشية باسم طالبات تجهيز دمشق. بدأت أولى اجتماعاتنا الشيوعية في نهاية عام 1937 التي كان يحضرها نحو عشر فتيات دمشقيات تأثرن بالفكر الماركسي وقتذاك، وأذكر منهن: بدوية شمس الدين أخت رشاد عيسى، وأم سليمان فضة حلال، وفلك الطرزي، وأختي فتحية. كنّا ننشط في جو اجتماعي صعب للغاية، ولكن الحس الوطني أقوى من التقاليد. عملنا في البداية من خلال جمعية اليقظة الشامية ثم اتسع نشاطنا وازدادت العلاقات والصداقة، وتعرفت على أمينة عارف زوجة نجاة قصاب حسن التي اندمجت في النشاط الحزبي بسرعة وبقوة».

في فترة الانتداب الفرنسي كانت مقبولة الشلق من أوائل النساء اللاتي شاركن في أول مظاهرة نسائية خرجت في شوارع دمشق، وقد ألقت كلمة حماسية ضد الاستعمار، نُشرت في جريدة «فتى العرب»، ولم تكن حينها إلا في السادسة عشر من العمر حين وقفت على السلم الداخلي لسراي الحكومة - مقر وزارة الداخلية اليوم - دوى صوتها مستنكراً سلخ لواء الاسكندرون عن الوطن، كما تظاهرت ضد النازية خلال الحرب العالمية الثانية واتهمت أدولف هتلر بأنه «عدو الحرية والنساء والثقافة». كما حاربت أيضا الهيمنة الأميركية على العالم العربي في مرحلة الاستقلال وما بعدها.

ناضلت الشلق ضد المستعمر وضد تسلط الذكور على المجتمع، لكن نضالها الأهم كان متابعة دراستها الجامعية رغم تحفظ الأساتذة ومضايقة الزملاء، ولا يعرف سبب عدم امتهان الشلق للمحاماة بعد التخرج، فكل التراجم للسيدة الشلق تزعم أنها منعت من ممارسة المحاماة، من قبل أساتذتها في الجامعة لعدم قبولهم خوض المرأة لهذا المجال.

وما ورد سابقاً بحاجة إلى تدقيق أيضاً فمهنة المحاماة في سوريا كانت مفتوحة أمام النساء منذ تأسيس النقابة، وبالعودة للسجلات الرسمية لنقابة محامي دمشق التي كانت سابقاً نقابة محامي سوريا، نجد أن أول محامية مسجلة في النقابة كانت السيدة بوران طرزي من مواليد 1913، وبدأت ممارسة المحاماة بتاريخ 27 / 2 / 1938 وكان ترتيبها بين المحامين 208 وكانت تحمل إجازة في الحقوق من المعهد الحقوقي الفرنسي في بيروت، وتجيد المرافعة باللغتين العربية والفرنسية وعينت رئيسة شعبة في وزارة الاقتصاد الوطني عام 1947.

الثانية فاطمة بنت سعيد مراد من مواليد دمشق عام 1908 وبدأت بممارسة المحاماة بتاريخ 25 / 9 / 1939 وهي حاصلة على إجازة في الحقوق من معهد الحقوق العربي بدمشق.

الثالثة، ملك كبارة من مواليد دمشق عام 1919 وبدأت بممارسة المحاماة بتاريخ 20 / 7 / 1946، وتحمل إجازة في الحقوق من معهد الحقوق العربي بدمشق.

الرابعة، هرمز النابلسي من مواليد دمشق عام 1924 وبدأت بممارسة المحاماة بتاريخ 30 / 1 / 1949 وتحمل إجازة من معهد الحقوق العربي بدمشق.

الخامسة فريزة العجلاني من مواليد دمشق عام 1922 وبدأت بممارسة المحاماة بتاريخ 16 / 12 / 1950.

أتى بعدهن على التوالي «نادية الغزي، امتثال الدروبي، فاطمة مراد بنت محمد كفا، سهام الرحيباني، جهان الموصللي، غادة مراد».

وهذا يناقض ما ورد عن منع الشلق من مزاولة المهنة، وربما كان السبب شخصياً لميلها للتعليم حيث انتسبت إلى سلك التعليم، وعملت مدرسة لمادتي التربية الوطنية والتاريخ، في مدرسة تجهيز البنات، بدمشق لمدة 5 سنوات وشاركت في مؤتمر عصبة مكافحة الفاشية باسم طالبات تجهيز دمشق.. اتسع نشاطها فعملت في البداية من خلال جمعية اليقظة الشامية، فبرزت كناشطة سياسية واجتماعية ضد الممارسات القمعية.

تزوجت الشلق من الدكتور مصباح المالح، الذي أوفد من قبل الجيش العربي السوري إلى فرنسا للتخصص في «جراحة الفم والأسنان» فطلبت إحالتها على الاستيداع من خدمتها كمعلمة في مدرسة تجهيز البنات، وأثناء وجودها في باريس اختصت في رعاية الأمومة والطفولة في جامعة السوربون.

عادت إلى سوريا عام 1952 وأسست «جمعية رعاية الطفولة والأمومة» التي نشطت في قرى الغوطتين وبلدتي دمر وداريا، فكانت أول جمعية تعمل على خدمة أهل الريف، والعناية بنسائه، وتقديم المساعدة الصحية لأطفاله، بمساعدة كل، من نبيلة الموصلي، ومرام جندلي، ومنور إدلبي.

انتقلت بعدها للعمل في مكتبة وزارة التربية والتفرغ للعمل الأدبي، الذي بدأته منذ شبابها المبكر نقل عنها «مروان المصري» في كتابه «الكاتبات السوريات» لدى سؤالها عن ماذا ولمن تكتب إذ تقول الشلق: «منذ حداثتي كنت أشعر بقوة تدفعني إلى الكتابة وإنني أكتب لأرضي نفسي، وما أكتبه أقدمه للناس كلهم. للأطفال أكتب القصص والشعر. وللنساء والرجال والفتيان كذلك.. إنني أقدم لهم جميعاً نبض قلبي من شعر ومن نثر».

بقيت الشلق التي قالت في إحدى قصائدها، خلقت والكفاح توأمين، تكتب القصة وتنظم الشعر، وتقيم وتشارك في الندوات الأدبية، انتسبت إلى اتحاد الكتاب العرب، وكانت عضواً مؤسساً في جمعية أصدقاء دمشق، وجمعية القصة والرواية، وكان دعاؤها إلى الله: أن لا يحرمها متعة العطاء الأدبي، فظلت كذلك حتى قبل شهر من وفاتها، تسطر الفصول عن دمشق، وتكتب عن عادات أهلها، وعن ذكرياتها، إلى أن توفاها الله عام 1986، تاركة ورائها نتاجا أدبياً قيماً، وقيمة تضاف إلى سجل النضال النسوي السوري.

# نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
# فنانو سوريا التشكيليون "9"

■ دمشق – حمزة السيد

## الفن والحكاية

نعم هناك انتهازيون بينهم، لما لا يكونوا كذلك، هذه ليست بتهمة أو وصمة عار أو بقعة زيت في لوحة بيكاسو مثلاً، فلا يمكن لمن يتابع السيرة الذاتية "للمعلم" الكبير إلا وأن يلاحظ كيف استغل بيكاسو أكبر مآسي شعبه ليصورها في لوحات، مستغلاً الحاجة الأوربية الاشتراكية الديمقراطية آن ذاك له في مواجهة البلشفية الإسبانية، كان ضرورياً في نيويورك وجود بيكاسو كمثقف ثوري يواجه الخطر الممتد من برلين إلى روما والذي سيهدد لندن لاحقاً، إن لم يرضى المتابع لوصف بيكاسو بهذا الوصف فهذا شأن قابل للنقاش، ربما يراه البعض أداة بيد الاشتراكيين، وربما يراه آخر عبقرياً ذكياً استغل السياسيين والمتحاربين لينقل مأساة شعبه، تجوز كل الصفات عليه وعلى غيره، ثم أنه وكما هي اللوحة أو المنحوتة قد لا نجتمع على جودتها أو جمالها، فمن الطبيعي أن لا نجتمع على سيرة فنان، ومن يكتب في أي موضوع لا يكون يضع تاريخاً أخيراً لها، فلن تجف الأقلام ولن ترفع الصحف عند رأي أو مجموعة مشاهدات، لكن الفنان أي فنان هو أناني الطبع بالضرورة، وهو الوحيد القادر أن يدوس على أقرب المقربين من أجل مجده، هذه حقيقة لا تقبل أي نقاش، وهي صادمة لمن لا يزالون يعتقدون أن الرسام مثلاً هو كائن حساس قد تخدشه حافة ورقة، هم قساة ودكتاتورين، يحكمهم المزاج والتقلبات، وقريبون من النرجسية، فلا إبداع من دون ثقة تصل إلى حد الجنون.

في العموم لا يمكن على الإطلاق الفصل بين الفنان وتاريخه وسيرة حياته، وكلمة فنان هنا نطلقها على التشكيلي الذي تحولت حياته الشخصية إلى جزء من لوحته إن لم تكن الإطار الحاضن لقماشه ولونه، فلو أن الموناليزا لدافنشي لم تعش مع الفنان لسنوات عديدة متنقلة معه من فلورنسا حتى منفاه الاختياري في باريس، ولو أنه لم يمزج دمه بالزيت واللون كي يستخلص لوناً احمراً يعطي وجنتي السيدة في اللوحة مظهراً طبيعياً أكثر، ولو لم يكن دافنشي في الأصل متهم بالمثلية الجنسية وأنه رسم نفسه بنسخة أنثوية، ولو لم يكن الملك الفرنسي آن ذاك قد اشترى اللوحة عنوة من دافنشي، لما كانت اللوحة قد تحولت إلى ما هي عليه اليوم، فالحكاية ترافق اللوحة كظلها، هذا ما حدث مع أنجلو الذي عاصر دافنشي، فلو أن فلورنسا لم تحمل تمثال داوود في كل شوارع المدينة احتفاء بالعمل العظيم، لما كان للعمل كل هذه القيمة اليوم، طبعاً ستبقى للوحة والتمثال قيمة، لكنه أثر إضافي يجعل العمل الفني مستمراً في الحياة، فقد تحول لجزء من تاريخ.

مع دالي أصبحت هذه المتلازمة أكثر وضوحاً، فرائد السريالية المجنون المحبوب، صنع لنفسه هالة تجذب تجار الفن ومحبيه ومقتنيه من كل أنحاء العالم، برع دالي في تصوير نفسه كغريب ينتج لوحة تنافسه في الغرابة، منذ ذلك بات عليك أن تفهم تاريخ الفنان قبل أن تفهم لوحته، لا يمكن لك أن تفهم أي لوحة من دون أن تكون قد تعلمت شيئاً عن صانعها، كان لهذا أثر سيئاً أيضاً، فأحياناً قد يستثمر في اسم أو قصة أو حكاية لمن لا موهبة له، استثمر تجار الفن في حالات مشابهة لسنوات.

في سوريا، تحمل المعادلة شيئاً مختلفاً تماماً، فمن العصي على الفقير مهما كانت موهبة عظيمة ونادرة أن يجد طريقاً لأصغر صالة في البلاد، ومن الصعب على من ينتمي لعائلة صغيرة لا تعرف نافذين أن يبيع إذ ما وصل للصالة الصغرى في دمشق، هي متلازمة من نوع خاص، فكثيرة هي الأسماء التي ظهرت في السنوات العشر الأخيرة والتي تمكنت من تحقيق شهرة ومكاسب مالية، لأنها فقط تنتمي لعائلات معينة في دمشق، وكان ولا يزال من السهل على أنثى تحمل آلة قص حجر أن تكون أكثر شهرة من شاب موهوب، فهي فتاة شرق أوسطية اقتحمت عالم الرجال، هكذا ينظر الغرب المتخم بفنانيه للفن التشكيلي في كل الشرق.

في جميع جامعات العالم، يُشرحُ الطلاب لوحات الفنانين المعاصرين والسابقين، يجلدونها بنقد حاد وعلمي، يدرسون كل عنصر ولون، كل ظل وتكوين، يتعلمون من اللوحة التي ذاع صيتها أو لم يذع، ويخرجون منها ما يمكن أن يفيدهم في مستقبلهم وأمام مناصبهم، إلا في جامعة دمشق، كان من الممنوع على الطلاب تشريح أي لوحة، فضلاً عن دراسة النموذج العاري "الموديل" استعيض عن ذلك بنموذج رامي القرص وفينوس، للاقتراب تشكيلياً أكثر من الجسد البشري العاري، لم يعتد الطلاب على النقد، لا على نقد بعضهم ولا على نقد غيرهم، كان الأمر محسوماً في أن لوحة الآخر تمثل أمراً يشبه شرفه الذي لا يجب أن يمس، أوربا عرفت منذ عشرات السنين تجمعات لفنانين قرروا أن يعملوا معاً فخلقوا مدرسة جديدة، أو تياراً فكرياً جديداً، تشاجروا أحياناً، واختلفوا وانشقوا عن بعضهم البعض، إلا أنهم في النهاية شحذوا مهارات بعضهم البعض، في سوريا اغترب الفنان عن غيره، قاطع معرضه حيناً، وشن هجوماً عليه بلا سبب حيناً آخر، اتهم الفنانون بعضهم بسرقة الأفكار والكتل، اندلعت الحرب بينهم حتى علق نحات شاب "إياد بلال" على ذلك بالقول " لو عملنا في ذات الوقت الذي نصرفه بالثرثرة لكنا افتتحنا ألف معرض في العالم الواحد".

كانت كبرى الصراعات تدور حين تعلن الجهات الحكومية عن مسابقة لإنجاز عمل نصبي يخلد بطل حرب ما، فما أن ينشر الإعلان حتى تبدأ المنافسة، وككل أمر في سوريا لا تبدأ المنافسة على أفكار فنية جديدة أو ورشات عمل لإخراج أعمال تقدم للمسابقة، بل يتنافس الكبار على تحريك المعارف من مسؤولين كبار للفوز بالمسابقة، فالأعمال النصبية تعني الملايين، وستخضع النماذج المقدمة لتحكيم لجان جاهزة لتلقي الرشاوى، وعادة ما تُحصر المنافسة مبكراً بين أسماء قليلة، حتى أن الخلاف على عمل "صالح العلي" في طرطوس وصل إلى القضاء، فرفع عبد الله السيد الذي نفذ عمل صلاح الدين الأيوبي النصبي في قلب دمشق (بالقرب من مدخل سوق الحميدية) دعوى قضائية ضد إياد بلال الذي نفذ عمل صالح العلي 2002 (مدخل طرطوس الرئيسي) اتهمه فيها بسرقة التكوين من عمل روسي شهير، القضاء حكم لبلال، الشاب الذي حاز على المركز الأول في مسابقة العمل النصبي، والذي كان أول شاب بهذا العمر "30 عاماً" ينجز عمل بهذا الحجم في سوريا، ورغم أن بلال أقر بأنه تأثر بمجمل الأعمال الروسية إلا أنه طرح سؤال هاماً على الصعيد الفني "كيف لك أن تنحت رجلاً يقف على حصان ولا يكون تكوينه يشبه عشرات الأعمال الأخرى في العالم" كان بلال قد جعل صالح العلي يركب حصاناً عربياً طبعاً، وقد رفع الحصان قوائمه الأمامية، فيما رفع العلي يده اليمنى شاهراً سيفه، واستندت الكتلة كما هي العادة في أعمال مشابهة على القائمتين الخلفيتين للحصان وعلى الذيل، ملامح الحصان الجميل، تحمل الكثير من "الفانتازيا" بحسب ما صرح بلال في إحدى المرات، لكن لا يمكن لعين

خبير أن تخطأ أن حجمه كبير بالنسبة لحجم الرجل الذي يمتطيه "صالح العلي"، في المحكمة صدر الحكم برد الدعوى، ونصب العمل في مدخل المدينة الساحلية، ولا يزال.

العمل الضخم صُب من البرونز، التكلفة الإجمالية المصرح بها تجاوزت الستة ملايين ليرة سورية، ذهب مليونان منها للنحات زكي سلام الفلسطيني السوري الذي كان مختصاً في تشكيل البرونز وصبه، فيما صرف بلال مبالغ أخرى على أعمال الإنشاء الأخرى، كيف فاز بلال بالعمل، الجواب ببساطة قريب نافذ في الفرقة الرابعة في الجيش، هنا لا ننكر موهبة بلال واجتهاده، إلا أن القريب مهد الطريق لبلال وفسح المجال ليملع اسمه سريعاً ويصبح ذي شأن في السنوات التالية، السيد الذي قاطع تلميذه السابق بلال، استمر في حربه، بعد أن فاز الأخير في مسابقة عمل المجاهد أحمد مريود في القنيطرة، عاد السيد إلى القضاء وحكم الأخير لصالح بلال الذي نفذ عملاً عادياً لا جديد فيه، إذ أن لجنة النصب العليا في البلاد كانت قد حددت سلفاً شكل التكوين وأبعاده، وكان بلال قد اكتفى معنوياً من عمله الأول صالح العلي.

بلال دمث وخلوق، وهو ذكي وموهوب بحق، فالفنان الحمصي يمتلك كتلة جذابة ومختلفة عما هو معتاد في النحت السوري، وحين قدم أول أعماله في دمشق وحمص مطلع الألفية، لفت نظر متابعيه، مع أن كتلته أحياناً تتفوق على تفاصيله، أي أنك فيما لو اقتربت من الكتلة التي كانت قد جذبتك من بعيد، ستكتشف أن تفاصيلها ليست بذلك الجمال، هذا سر يدركه بلال، هو يرغب بجرك من بعيد، ويتركك محتاراً إذا لم تكن متمرساً، لماذا اقتربت من هذا العمل؟.

امتلك بلال مرسماً متواضعاً في حي دمر البلد بدمشق، اشتراه مباشرة بعد أن أنجز علمه "صالح العلي" المنزل المكون من ثلاث غرف كل غرفة في طبقة، أصبح عصياً على بلال التوجه إليه، فقد شهد الحي مظاهرات في بداية الحراك في البلاد، لم يجرؤ بلال على زيارة الحي، وترك العديد من أعماله وأرشيفه هناك، فيما كان نشاطه بشكل عام قد بدأ بالاضمحلال في السنوات التالية لذلك، رغم أن قام بتجارب خاصة في التعدين في ذات المرسم الذي فقده، وفقد معه منزله في قدسيا في ضواحي العاصمة كذلك، وبقي في سوريا رغم أن صديقه النحات محمد عمران غادر إلى باريس منذ أكثر من عامين الآن، ورسم العديد من الأعمال من وحي الثورة.

# تاريخ من لا تاريخ لهم
# يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1991 - 1994

## 17 / 1 / 1993

- أنا سوف أحدثكم عن الدولة في الإسلام أو دولة الإسلام.

هذا ما قاله المنتمي إلى البعث الديمقراطي، وكلنا في ضيافته في المهجع الثاني، وبدأت تدور جوزة المتة، والماء الحار في هذا الجو البارد.

قلت: - السماء في الخارج ملأى بالثلج. نريد حديثاً يبعث الحرارة فينا مثل ماء المتة هذا.

- ما أستطيع عليه هو أن الدولة في الإسلام الراشدي وهو الإسلام قبض على أساسين مهمين في بناء الدولة. أن الحكم ليس وراثياً ولا عائلياً. وأن مال الدولة ليس ملكاً للحاكم.

كل المؤرخين العرب أجمعوا على أن الحكم بعد الراشدين. كان عضوضاً أي استبدادي طغيان، وأنه بالاسم هو حكم إسلامي ولكنه بالفعل ضد الرأي وضد النقد وضد إسلام رسول الله رغم أن الخلفاء الأمويين والعباسيين يتجهون للقبلة، ولكنهم لا يتجهون إلى الإنسان وضد الحرية والشورى والديمقراطية واستولوا بالغَلَبَة على بيت المال، وجعلوا الحكم وراثياً مثل حكم كسرى، وحكم قيصر.

إن اغتيال عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين هو بسبب الصراع الخفي على الدولة.. جماعة يريدون الدولة مطية لمصالحهم وعمر يقف كالطود ضد المصالح الخاصة، ويريد الدولة خالصة للحق والعدل والإنسان بلا فرق في اللون، أو في الأصل.

وجاء مقتل عثمان الخليفة الراشدي الثالث لأنه حابى البيت الأموي في المناصب ولم يكونوا أهلاً في ولاياتهم للحفاظ على رسالة الإسلام فقد كانوا منصرفين لامتلاك العقارات والأراضي والأطيان دون وجه حق.. هذا اسمه صراع بين أن تكون الدولة للجميع وبين أن تكون وقفاً على بيت أو عائلة أو عشيرة.

وجاء علي ونشب الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سيد قريش في الجاهلية. علي يريد دولة الحق، ومعاويه ومن معه يريدون دولة على طريقة كسرى وقيصر ملأى بالجور والاستبداد والطغيان.

وقضى علي بسيف ابن ملجم المسموم، وهكذا هزم الحق في معركة الصراع بين الاستبداد وبين رسالة الإسلام السمحة والعادلة وظل مهزوماً مئات السنين وشهداؤه يصرعون بجز النواصي وقطع الرؤوس، أو بالصلب والحرق باسم الزندقة، وما الزنديق سوى الاستبداد والمستبد.. وإلى هذه الأيام فإن الاستبداد والمستبدين هم الذين يسودون، وهم الذين يستمرون في إذلال شعوبهم ومنعهم من التنفس والتمتع بهذه الحياة، لأن العبد.. لا يمكن له أن يتذوق مباهج الحياة إذا لم يكن حراً وسيداً كما كان الأمر على أيام الرسول والخلفاء الراشدين..

إن الإسلام الشكلي والسطحي هو الذي يريده الاستبداد وإن الشيوخ الذين يضفون على الاستبداد والإنسانية مطلقين تصريحات التبجيل هم خونة للإسلام ولله.

إن الاستبداد هو الاستبداد ولا يمكن إلباسه لبوس الديمقراطية وهو أبو التزوير والتشويه، وهو يسحب ما في الشعوب من بقية شرف أو نخوة.. لأنه لا يلتقي معها ويلاحقها كالأوبئة الفتاكة.

## 18 / 1 / 1993

يزداد البرد ويهبط الثلج كثيفاً ونلتف بالفراوي والبيجامات وسراويل الصوف، ولا كأننا نلبس شيئاً والتدفئة المركزية عاملة بأقصى طاقتها.. كما أن الأحاديث الحارة مستمرة ولكن الثلج سيد الموقف.

قال ابن الحزب الناصري:

- الأحرى في هذا العصر أن تكون الدولة دولة القانون والنظام والإنسان.. التخلف الذي عليه الوطن العربي يفرز حكاماً متخلفين.. هم بلا إرادة.. همهم السطو على الملكية العامة والاستئثار بالحكم.. قولوا لي من صعد منهم إلا بالغَلَبَة، ولا يتخلى إلا بالقتل أو الموت.. هذا مبارك سيبقى إلى أن يرثه ابنه.. كذلك الأسد.. وكل الحكام العرب هكذا. الرؤساء في أوربا وأمريكا بسهولة يجيئون وبسهولة يَذهبون.. أما عندما الذي يجلس يضع قبل جلوسه على الكرسي كمية كبيرة من الصمغ والغري لكي يبقى ما دام حياً.

قلت أن دولة العصر يجب أن تكون قانونية دستورية تعددية تحترم الرأي الآخر، وغير شمولية، وخالية من قوانين الطوارئ وأن يكون الجميع سواسية أمام القانون.. ما في الوطن العربي من حكومات ضد ذلك.. أي ضد العصر.. ضد الحضارة ضد الحق ضد الإسلام.

يجب أن يكون هناك عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم لمنع السلطة، أن تستبد.. لقد رأينا العقيدة الشيوعية ماذا عملت بالدولة؟ ورأينا العقيدة الدينية التي استخدمت غطاءً لسلاطين آل عثمان. كيف سوغت الإستبداد وشجعت السلاطين عليه وزادتهم تعنتاً إن الله لا يريد للإستبداد أن يختبئ وراء اسمه.. لم يعد العصر يحتمل دولة برأي واحد ورئيس خالد واتجاه واحد.

العصر عصر تعددي وأحزاب وآراء وانتخابات وبرلمانات حقيقية لم يعد بالوطن العربي (وخاصة بعد هذه المحن) مكان للمخابرات والجيش والدبابات والجنرالات.

لا بد من الحرية في القول.. لا بد من النقد.. لأن النقد وعي وجدل ومنع النقد استسلام وخضوع وذل.

لا بد من الطغيان والاستبداد إن آجلاً وإن عاجلاً.

## 19 / 1 / 1993

كنت أستمع منذ قليل إلى: (البرنامج المفتوح) من إذاعة لندن بصوت المذيعة: - فاطمة عزوز، وقد حاورت القصاص المصري الرائع يحيى حقي، كما بثت أغنية لأسمهان (أعرف أني بحبك / من فيلم / غرام وانتقام / آخر أفلامها وقبل غرقها في الترعة مع سيارتها وموتها.

بعد أخبار لندن نهضت للعشاء، ودار الحديث حول الإفراج. لا زالت ترد في الزيارات التطمينات. جاء سليمان مقصود المفرج عنه في زيارة لأخيه همدان.

طبعاً هذا التأجيل قاس.. وقد ظهر على البعض (وأنا منهم) التعب والبلبلة. إن عشر سنوات في السجن تؤثر في الحديد وليس في الإنسان.

حالة الجناح هادئة.. كنا (65) نزيلاً فأصبحنا (52) نزيلاً، بيننا ضابط محسوب على التيار الديني اسمه تركي ديبه. نشغل سبعة مهاجع والثلاثة الأخرى مغلقة، والمواد التموينية فائضة فقد أخذنا مواد الذين أفرج عنهم.

في الليل يتساقط الثلج، ودرجة الحرارة عندنا تحت الصفر.. ننام باكراً متدثرين بالبطاطين والفروات.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

# المواطنة وحقوق اللاجئين

■إعداد المحامي فارس حسّان

عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بوصفها: «علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وتسبغ عليه حقوقاً سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة. وميزت الدائرة بين المواطنة والجنسية التي غالباً ما تستخدم في إطار الترادف إذ أن الجنسية تضمن بالإضافة إلى المواطنة حقوقاً أخرى مثل الحماية في الخارج».

ومن نافلة القول أن كلمة المواطنة في اللغة العربية مشتقة من الوطن، وتترجم كلمة المواطنة في بعض المعاجم العربية، بأنها الاسم الذي يطلق على حقوق وواجبات المواطن، وبالحديث عن الوطن والمواطنة تبرز إشكالية اللاجئين أو طالبي اللجوء ومدى تمتعهم بحقوق المواطنة، خاصة مع بروز تيار واسع يعرف المواطنة بأنها العلاقة الناشئة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل معتاد ولو لم يولد بها كحالة اكتساب الجنسية.

وقد تطرق القانون الدولي لموضوع اللاجئين وطالبي اللجوء على اعتبار أنه ينبغي أن يتمتع جميع الأشخاص، لما لهم من قيمة إنسانية أساسية، بكافة حقوق الإنسان. ولا يمكن أن يُميَّز استثنائيًا كالشأن في التمييز بين المواطنين وغير المواطنين على سبيل المثال، إلا إذا كان ذلك يخدم هدفاً مشروعًا تتوخاه الدولة وكان متناسبًا مع تحقيق ذلك الهدف، والمواطنون هم الأشخاص الذين تعترف الدولة بأن لهم صلة فعلية بها ويخول القانون الدولي عموماً لكل دولة صلاحية تحديد من له أهلية المواطنة. وتكتسب الجنسية عادة بالولادة في البلد، وهو ما يسمى «حق الأرض»، أو بكون أحد الأبوين من مواطني البلد، وهو ما يعرف «بحق الدم».

أما غير المواطن فهو الشخص غير المعترف بوجود هذه الروابط الفعلية بينه وبين البلد الذي يقطن فيه. وهناك فئات مختلفة من غير المواطنين منهم المقيمون الدائمون والمهاجرون واللاجئون وطالبو اللجوء وضحايا الاتجار بالبشر والطلاب الأجانب والزوار المؤقتون وفئات أخرى من غير المهاجرين وعديمي الجنسية. ومع أن كل فئة من هذه الفئات قد تكون لها حقوق مستندة إلى أنظمة قانونية مستقلة، فإن المشاكل التي يواجهها معظم غير المواطنين، أو ربما كلهم متشابهة جداً. وهذه الهموم المشتركة يعانيها ما يناهز ١٧٥ مليون شخص في أرجاء العالم.

لذلك يعتبر أي تمييز ضد غير المواطنين استثناءً من القاعدة الأساسية التي تقضي بتمتع كل البشر بما لهم من قيمة إنسانية أساسية، بكافة حقوق الإنسان دون تمييز، ما لم تخدم فوارقُ استثنائية، كالفرز بين المواطنين وغير المواطنين على سبيل المثال، هدفاً مشروعاً من أهداف الدولة وما لم تكن متناسبة مع تحقيق ذلك الهدف. وينبغي لأي نهج يتوخى مكافحة التمييز ضد غير المواطنين أن يأخذ في الاعتبار ما يلي:

- مصلحة الدولة في ضمان حقوق محددة «كالحقوق السياسية والحق في التعليم والضمان الاجتماعي والحقوق الاقتصادية الأخرى، على سبيل المثال».

- واختلاف فئات غير المواطنين وعلاقتهم ب تلك الدولة «المقيمون الدائمون والعمال المهاجرون وملتمسو اللجوء والمقيمون بصفة مؤقتة والسياح والعمال غير الحائزين للوثائق اللازمة، على سبيل المثال».

- ومدى مشروعية وتناسب مصلحة الدولة أو السبب الذي تتذرع به للتفرقة بين المواطنين وغير المواطنين أو بين غير المواطنين «المعاملة بالمثل والنهوض بالتنمية، على سبيل المثال».

## حقوق اللاجئين

يشتمل القانون الدولي لحقوق الإنسان على خمسة مواثيق، تعد الأساس القانوني لحقوق اللاجئين وهي، اتفاقية عام ١٩٥١ المتعلقة بمركز اللاجئين وبروتوكول عام ١٩٦٧ الملحق بها؛ والنظام الأساسي لمفوضية شؤون اللاجئين والإعلان المتعلق باللجوء الإقليمي؛ ودليل الإجراءات والمعايير الواجب تطبيقها لتحديد وضع اللاجئ.

وينبغي أن تُطبَّق المعايير الدولية المتعلقة باللاجئين وملتمسي اللجوء على قَدم المساواة، بصرف النظر عن جنسية ملتمس اللجوء أو اللاجئ، وينبغي أن تكون الظروف السائدة في مأوى اللاجئين وظروفُ احتجاز المهاجرين الذين لا وثائق رسمية لهم وملتمسي اللجوء مستوفية المعايير الدولية. وعلى الدول أن تكفل ألا يعامَل كمجرمين الأفراد الذين يُقبض عليهم وهم في وضع مخالف للقانون، مثل ملتمسي اللجوء الذين يتواجدون في البلد بشكل غير قانوني والذين تَعتبر السلطات أن ادعاءاتهم باطلة.

كما تنص اتفاقية عام 1951 المتعلقة بمركز اللاجئين وبروتوكول عام 1967 الملحق بها على أن من حق اللاجئين أن تكون معاملتهم على الأقل مناسبة كتلك التي يعامل بها المواطنون فيما يتعلق بما يلي: الدين، وحماية الملكية الفكرية، والتقاضي أمام المحاكم والحصول على المساعدة القانونية، وتدابير التوزيع المقنَّن، والتعليم الأولي، والإغاثة، والمساعدة العامة، وتشريع العمل والضمان الاجتماعي.

كما تستلزم الاتفاقية والبروتوكول بأن تُعامِل الدول الأطراف اللاجئين معاملة لا تقلّ عن تلك التي تمنحها لغير المواطنين بوجه عام فيما يتعلق بالإعفاء من شرط المعاملة التشريعية بالمثل، وحيازة الممتلكات، والانضمام إلى الجمعيات غير السياسية وغير المستهدِفة للربح وإلى النقابات المهنية، والعمل المأجور، أو العمل الحر، والمهن الحرة، والإسكان والتعليم ما بعد الأولي، وحرية التنقل.

كما أنه ينبغي ألا يترك ملتمسو اللجوء في حالة من الحرمان وهم ينتظرون أن تُبحث طلباتهم من أجل اللجوء لأن هذه الأحوال السيئة من شأنها أن تزيد من التحامل والتنميط والمناوئة اتجاه مقدّمي طلبات اللجوء. وينبغي ألا يكون إجراء البت في أهلية الحصول على اللجوء بطيئاً، وينبغي للدول أن تضمن إتاحة الفرصة لمقدمي الطلبات للحصول على المساعدة القانونية الكافية.

في الختام نقول أن الأصل أن يتمتع اللاجئون وطالبوا اللجوء بحقوق المواطنة والتي على رأسها الحرية والعدالة وتكافؤ الفرص، بينما يمكن للحكومات أن تقنن تمتعهم بحق المشاركة السياسية مؤقتاً ليصار إلى دمجهم في المجتمع فعلياً وقانونياً.

# صلاح عيسى: البرنسيسة والأفندي

■ ياسر مرزوق

قد يوحي عنوان كتابنا اليوم بالخفة لكن قراءةً أعمق لقصة الأميرة فتحية ابنة الملك فؤاد الأول التي أثارت عاصفةً اجتماعية وسياسية وطائفية، بزواجها من شاب قبطي متواضع النشأة، تظهر قصةً دراميةً كان لها بالغ الأثر في إنهاء حكم أكثر الأسر الملكية شهرةً في التاريخ العربي الحديث.

والكتاب جزء من سلسلة أطلق عليها الصحفي المؤرخ «صلاح عيسى» تسمية «حكايات من دفتر الوطن» انتهج فيها نهجاً جديداً في كتابة التاريخ، يجمع بين الرواية وإعادة قراءة المصادر والتنقيب فيها والدراسة الاجتماعية والتحليل الاقتصادي، ويصيغ من كل هذا نصاً متفرداً شاملاً لمرحلة تاريخية مفصلية من تاريخ مصر والمصريين.

عام 1976 كان عيسى يتهيأ لتأليف كتاب بعنوان «الصحافة المصرية في معركة الديمقراطية» يؤرخ فيه للدور الذي قامت به الصحافة دفاعاً عن حرية الرأي والضمير، بين عامي 1950 و1954 حين تصدت لمحاولات تقييد حريتها، التي بدأت بقانون أنباء القصر، وظلت تقاوم إلى أن أدركتها أعاصير أزمة آذار 1954عام.

وفي بحثه عن حرية الصحافة وعلاقتها بالسلطة كشف عيسى محاولات القصر الملك للضغط على الحريات الصحفية عقب انتشار خبر زواج الأميرة فتحية تحت شعار حماية النظام الاجتماعي، وأشار إليها في مقدمة كتابه المذكور وإن كان قد جمع مادتها من الصحف والمصادر الأخرى، وفي العام نفسه تداولت الصحف الأجنبية خبر قتل الأفندي رياض غالي للأميرة فتحية وانتحاره بعدها،

ومنذ أن تلقى صلاح عيسى خبر مقتل الأميرة أخذ يعمل على تأليف الكتاب الذي يستعرض فيه عقد النشأة والتكوين، التي مهدت لتعقد العلاقات بين فروع الأسرة العلوية التي كانت تحكم مصر، وتعقد هذه العلاقات داخل أسرة الملك فاروق، لتصل إلى نوع من صراع الإرادات، بين الملك فاروق وأمه الملكة نازلي، كانت ضحيته الأميرة فتحية، كما يستعرض طبيعة السلوك الشخصي لأفراد الأسرة المالكة، وتأثيره على سلوكها العام، والتداعيات التي أسفر عنها زواج أميرة مسلمة من أسرة مالكة من شاب قبطي، وكادت تشعل فتنة طائفية.. والقضايا الفكرية والسياسية والدينية التي أثارها الزواج، ومن بينها قضايا التزاوج بين أولاد الأصول ومن لا أصل لهم، وبين الملوك والصعاليك، وتغيير الدين من أجل مصلحة دنيوية ومدى حرية الصحافة في تناول سلوك الملوك والملكات.. والأمراء والأميرات.

يقول صلاح عيسى: «ومع أهمية الصحف كمصدر للمعلومات لا يمكن إهماله فقد وضعت في اعتباري أن الظروف السياسية الآنية تؤثر فيما تنشره بحيث يصعب تنزيهه عن شبهة الدعاية والدعاية المضادة، وكما أن المرويات التي نشرتها هذه الصحف في منتصف الثلاثينات وعقب تولي الملك فاروق العرش كانت تتسم بالمبالغة في الدعاية له، فإن المرويات التي نشرتها هذه الصحف عنها عقب عزله عن العرش كانت تتسم كذلك بالمبالغة في الدعاية ضده».

كانت شمس الملكية في طريقها إلى الغروب، بحكم حتمية التاريخ وفساد النظام الحاكم، إلا أنه لا ينبغي إغفال دور الملكة نازلي التي بذلت كل الجهود لتمكين ابنها فاروق من العرش، ثم ما لبثت أن دقت آخر مسمار في نعش الأسرة العلوية، منذ ميلادها وحتّى وفاتها، لم تكن نازلي صبري شخصية عادية وإنما كانت دائما امرأة مثيرة للجدل وصانعة لما حولها من أحداث. كانت نازلي المرأة الوحيدة في تاريخ مصر التي حملت لقب سلطانة بزواجها من السلطان فؤاد عام 1919 ثم ملكة بعدما أصبح السلطان ملكا ثم صارت صاحبة الجلالة الملكة الأم بعد أن تولي ابنها عرش مصر عام 1937 لتنتهي حياتها بضياع ثروتها وإعلان إفلاسها وتجريدها من لقبها وتقضي أيامها الأخيرة في حي الفقراء بلوس أنجلوس.

وقد قال عنها الكبير محمد حسنين هيكل إنها واحدة من ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية، فلم تكن نازلي مجرد امرأة مشهورة أو ملكة وإنما اعتادت دائما أن تكون محط أنظار الجميع، بينما يغمز عيسى لعلاقةٍ غامضة ربطتها بالأفندي رياض غالي الذي أضحى زوج ابنتها فيما بعد قائلاً: «وهكذا أصبح الأفندي موضوعاً لصراع الارادات بين ملك عنيد يخاف أمه ويكرهها، وملكة عنيدة تحب ابنها وتحتقره من دون أن يبذل الأفندي نفسه مجهوداً خارقا للعادة يستحق بسببه هذه الرعاية الملكية السامية». ويضيف أن الافندي «أدرك أن صاحبة الجلالة ليست أكثر من امرأة وحيدة تمتلئ مرارة بسبب عقوق ابنها، وترتعب من برودة الشتاء الزاحف وتعلم أنه لا هيبة الملك ولا وفرة الثروة ولا سطوة الجاه ولا الجلالة التي تصاحب اسمها على كل لسان، يمكن أن توقف برودته الزاحفة أو تعوضها عن العمر الذي ضاع هدراً».

كما لفتت التقارير النظر إلى ظاهرة أخرى خطيرة وهي التصاق الملكة بهذا الأفندي الصعلوك، الذي كانت تتعامل معه من دون كلفة، وكان رفيقها الدائم والوحيد في سهراتها التي تمضيها في ملاهي باريس وجنيف، حيث يرقصان إلى مطلع الفجر، كان ما يحدث طبقا لتعبير النقراشي رئيس وزراء مصر آنذاك كارثة قومية تتم في توقيت غير ملائم.

عام 1950 أثار إعلان زواج أميرة مسلمة، من شاب قبطي، لا يحمل إلا لقباً متواضعاً يمنحه الناس لبعضهم البعض على سبيل المجاملة، حملة صحفية شهرت بالسلوك الجنسي للأسرة المالكة وأن يفجر أزمة سياسية، بدأت بأمر ملكي يقضي بتجريد صاحبة السمو الملكي الاميرة «فتحية» ووالدتها صاحبة الجلالة «الملكة نازلي» من ألقابهما الملكية لتصبحا «فتحية هانم فؤاد» و«نازلي هانم صبري» وانتهت بالقضاء على النظام الملكي بعد ذلك بثلاثة أعوام، وأن يشعل فتنة طائفية بين المسلمين والأقباط، وأن يفجر مناظرة عن المساواة بين البشر وعن حدود حرية المرأة والسقف الذى تتوقف عنده حرية السلوك الخاص للشخصيات العامة.

خبر كهذا أشعل التوتر الطائفي بين عوام المصريين، حيث بدأ يتسلل إلى صفحات الصحف في سطور سريعة خجولة، وفي زوايا مجهولة، ففي حي مصر القديمة بالقاهرة، رسمت على جدران إحدى الكنائس صور للقسس بصورة مثيرة، وحدثت محاولات للاعتداء عليها، وفي مدينة بنها أخذ بعض جهلاء المواطنين ينظرون شذراً إلى رجال الدين المسيحي في غدوهم ورواحهم ويسمعونهم تقريعاً وكأن لهم يدا في الأمر، وفي فرشوط بالصعيد تعرض الأقباط لاعتداءات خطيرة وقالوا في رسالة إلى وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا، وأخرى إلى الدار البطريركية «إنهم يلتزمون بيوتهم خشية الاعتداء عليهم».

لكن أن يصل التوتر إلى النخبة المثقفة، فهو ما سلط عليه عيسى الضوء في كتابه حيث وصف على الغاياتي صاحب ورئيس تحرير جريدة «منبر الشرق» الزواج بأنه كارثة مروعة نزلت بمصر المسلمة واعتبر استنكار الأقباط له خداعاً ونفاقاً. وما يلفت النظر كما يقول عيسى إن الرؤية الطائفية للحدث امتدت إلى مثقفين نشأوا في ظل ثورة 1919 التي صهرت عنصري الأمة في قومية واحدة ومن بينهم أحمد الصاوي محمد ومحمد التابعي الذى علق: «نعم نحن متعصبون إلى أبعد حدود التعصب لعزة الدين وكرامة الدين»، وقالت جريدة «الأساس» لسان حال الحزب السعدى: «يجب أن يوقف هذا الإهدار المستمر لكرامة مصر وعرشها ودينها الرسمي».

في الختام يرصد الكتاب التطورات المأساوية التي انتهت بمقتل الأميرة فتحية، وانتحار غالي الذي لم يتم، وبعد ستة أيام من مصرع الأميرة أقيم القداس على روحها في كنيسة سانت بول بغرب لوس أنجلوس قبل يومين من عيد ميلادها الـ46، وفي صباح 11 من نيسان عام 1978 كان رياض غالي عجوزاً في الستين، ينزل من عربة السجن على كرسي متحرك، لتحكم عليه المحكمة بالسجن لمدة تتراوح بين خمس سنوات و15 سنة، وبعد ستة أسابيع من صدور الحكم ماتت الملكة نازلي في أول حزيران 1978، ودفنت إلى جوار ابنتها بمدافن الكاثوليك، وبعد أشهر قليلة مات رياض غالي، وطويت صفحة القصة التي شغلت الناس طوال ثلاثين عاماً تقريباً.

**إن المحبة هي الفن الذي يرسم به السلام**
ريف حلب - 2012 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي



للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

# فليمت من لا يزال يحلم

دمشق - عامر محمد

تحلم أم جعفر والواضح من لقبها أنها سورية علوية، للحصول على بضع قطرات من مياه زمزم التي يقدسها المسلمون كي تشربها وتصلي وتدعوا لوليدها "جعفر وعلي" اللذين قضيا في الحرب السورية خلال فترات متباعدة، فالأول، أي جعفر، سقط في تشرين الثاني من عام 2011، ثم قضى الثاني في نيسان من عام 2014، ليبقى لها وحيدها حيدر الذي لم يلتحق بعد بالخدمة الإلزامية في البلاد لصغر سنه، وبحسب القانون لم يعد مكلفاً بذلك الآن بعد وفاة شقيقيه، لكن دافع الانتقام قد يجعله يتطوع ليقاتل، ويُجهز موته بشكل كامل على الأم التي أنهكها فقدان ولدين، وجعلها تظن بأن الدعاء المرافق لتناول مياه زمزم قد يدخل الولدان الجنة وينهي عذابهما وعذابها.

من الدخانية خرج أبو خالد ومن لقبه هو سوري سنّي، عبر طرق صعبة ووعرة ورحلة رافقه فيها الرصاصُ والأرض أرض وكل أنواع الرعب التي لم يعرفها طوال خمسين عاماً من حياته، أيام بعد خروجه وقالت له السلطات إنها حررت الدخانية، ذهب ليرى البيت الذي عمره بعرق خمسين عاماً، وجد من البيت بابه فقط، لا يزال الباب منتصباً، سواه لا شيء، ضحك حين روى الحكاية لعائلته في دمشق، تناول العشاء ثم نام، ودفن في نجها في ظهر اليوم التالي، حسناً أبو خالد سني موالي للنظام، بإمكانكم أن تطلبوا له جهنم، وربما يكون معارضاً وثورياً وبإمكانكم أيضاً أن تطلبوا له جهنم.

في دمشق لا يمكن لك أن ترى إلا اليأس، فمهما حاولت وسائل الإعلام التي تحسب على هذه الجهة أو تلك أن ترفع من معنوياتك وتصور لك أنها ذاهبة بك نحو النصر مهما بلغ عدد الضحايا، فإن العاصمة يائسة تماماً ولم تعد قابلة لتصديق الأحلام، فشبانها مثقفون بكل المعلومات الخاصة لمراكب التهريب غير الشرعية نحو أوربا، البطالة جعلتهم يغرقون في البحث العبثي عن طريق يأخذهم إلى أي مكان في هذه الأرض، لعلهم على الأقل يعودون للحلم، فوائل سعيد للغاية في السويد، كيف؟ لا تسأل كيف لشاب وضع في مخيم عصري وأعطيت له بضع دولارات شهرياً أن يكون سعيداً في بلاد كلفه الوصول إليها ثمانية آلاف دولار كي يكون سجيناً بمعنى أو بآخر في بلاد لا مستقبل مهني حقيقي له فيها؟ كيف لأي إنسان أي يقبل أن ترسم له حدود فيفرح إلا حين يكون فرحه ببعض من طعام وشيء من حلم.

يستمر الجدل السياسي في دمشق، يكثُر التدين، يقلّ عدد من يتابعون الأخبار، تنتشر الشهوات، الفتيات يحلمن برجل أو شاب عسكري، الشبان يحلمون بتأجيل الخدمة ثم السفر، المطاعم ترفع الأسعار ولا يزال هناك من يدخلها، الأمهات يسقطن بعد أولادهن أو حتى قبل سقوط الابن، فسقطت "ناجيَة" حين اعتقل ولدها البكر من حرم جامعة القلمون في وضح النهار، واقتيد نحو فرع أمن الدولة، ظلّ هناك ثلاثة أشهر، هي سقطت في الشهر الثاني فلم تعد بقادرة على الاحتمال، خرج هو نحيلاً محبطاً مغتصباً، زار قبرها، ثم بكى وقرر الرحيل، ولم يستطع.

من الرقة يصل حمزة مع شقيقته لمتابعة الدراسة في جامعة دمشق، من الكراج في العباسيين وحتى المدينة الجامعة في المزة، يعاني الأخوة من الحواجز العسكرية التي يثير غضبهما أنهم من مواليد الرقة، فلا يغادرون غرفهم في المدنية الجامعية إلا نحو الكلية أو الشوارع المحيطة بالسكن، يهمس حمزة بأن الحياة في ظل داعش في الرقة ليست بذلك السوء، الذي يصوره الإعلام، تفاجئك الفكرة وقد تثير شكوكك حول حمزة الذي يدرس الصيدلة في العاصمة، هل هو داعشي؟؟ أم لأنه لا يدخن فلا يشعر بشيء سيء تجاه التنظيم الذي يقاتله العالم؟ يصمت حمزة وكأنه اشتم شكك به، ويتغير الحديث.

ترفع السلطة أسعار المحروقات، خبر يفجر غضباً يفوق ذلك الذي من المفترض أن يفجره خبر سحق أطفال ببرميل في دوما، على الأقل تتم المقارنة بين الغضبين لدى من لا يزال رومنسياً ثورياً، يضرب عمال النقل في طرطوس فتكتب صفحات المعارضة أن الثورة وصلت لهناك ويعلق أحد المقيمين في الخارج بأن ثورة العلويين جاءت متأخرة وغير مرحب بها، بينما يهتف السائقون المضربون في طرطوس بحياة الأسد أثناء اعتصامهم، لكن الخبر دائماً يصل من ضفة إلى ضفة وقد اقتطع أو اختصر وشوه وأصيب بالشلل، ولم يعد من المهم أن تنشر الحقيقة، لأن الحقيقة الوحيدة هي أن المتابع لا يريد أي حقيقة.

علياء لم تتزوج رغم أنها بلغت الخامسة والأربعين، بقيت عزباء تسكن في كفر بطنا بريف دمشق، مساحة بيتها مئة وخمسين متراً، وهو منزل محشو بالمفروشات الثمينة التي اشترتها من خلال راتبها الذي كانت تدخره من الوظيفة الحكومية، دُمرت كفر بطنا، وانتقلت علياء منها إلى جرمانا، علياء علوية طرطوسية، لا تزال تتبضع الطعام من جرمانا، في سوق علني يعرف باسم سوق التعفيش، شاهدت غطاء سرير يشبه ذلك الذي حاكته لها والدتها المتوفية، لكن ذلك الغطاء بقي في كفر بطنا، وكان قد تمزق بمقدار عشرة سم وخاطته ورقعته، فيما بقي أثر سيجارة على أحد أطرافه، تناولت الغطاء من حيث هو في سوق التعفيش وقلبته، إنه هو، غطائها هي، طلب البائع ألفي ليرة ثمناً له، سألته، كيف خرج من كفر بطنا، ضحك البائع وأخبرها أنها مجنونة وطردها، صاحت عليه وصاح عليها، فشتمته وشتمت كل مسلح في البلاد، طبخت في ذلك اليوم السبانخ من دون لحم ونامت على أصوات قصف قوية.

في ذات العاصمة تتصل أم غاضبة بأحد الإذاعات المحلية، وتطلب مقدم البرامج لتشتمه، فهو أساء لابنها المشارك في أحد برامج اكتشاف النجوم، المقدم قال إن أداء ابنها في ظهوره الأخير لم يكن على المستوى المعتاد، غضبت الأم وهددت بمقاضاة المذيع، ومحاسبة القناة التي أساءت للمشارك السوري الذي "يرفع اسم البلاد عالياً"، راضاها المذيع بأن بث أغنية أداها النجم الصاعد في اليوم التالي، فرحت الأم واتصلت بابنها وعبرت عن مدى فخرها به.